أوراق أدبيـــة

فؤاد حجازى

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم شرق الدلتا الثقافى
فرع الدقهلية الثقافى

الغلاف عن رسم للفنان مجدى سرحان

وللثقافة كلمة

بعد تعثر عدة مرات ، انعقد أخيراً ، مؤتمر أدباء مصر فى المنصورة ، وكأنما تحية لفؤاد حجازى فى عيد ميلاده الستين ، فكان محوره الرئيسى ، عن مواجهة التطبيع مع العدو الاسرائيلى ، تحية لأول من نادى بعدم التطبيع ، فى مؤتمر الأدباء بالمنيا عام ٨٤ .

وهاهى صيحته قد تبناها المثقفون فى الوطن العربى كله ... وأصبحت مطلبا شعبياً ...

تحية للرائد ، الذى لم يغادر مدينته ، رغم الضغوط ، ورغم إغراء الكسب المادى والمعنوى .

تحية لرائد أدب المقاومة الذى بدأ النشر فى هذا المجال عندما نشر مجموعته عن حرب ٦٧ " سلامات " فى عام ٦٩ .

تحية لرائد أدب " الماستر " الذى جعل إلغاء الرقابة على المطبوعات حقيقة واقعة ، وتحمل الكثير ، مساهما بذلك فى تعميق الديمقراطية البازغة .

تحية لمن يعشق ارتياد الجديد دائما ، وآخر غزواته النقد التطبيقى فى مجال أدب الأطفال .

فرع الثقافة بالدقهلية

أوراق أدبية

غرق الدير

◎ ◎ ◎ ◎

حصلت على الثانوية العامة
فى عام ١٩٥٦. وفى انتظار
فرصة للعمل، وفى انتظار
اعلان نتيجة القبول بالجامعة،
أخذت أقطع الوقت فى القراءة
وقع جوركى بين يدى. وجدت وصفه للبيئات
الفقيرة فى رواياته لايختلف كثيرا عن البيئة التى
كنت أعيش فيها. ومع استمرارى فى القراءة،
خيل إلى أننى أستطيع وصف بيئتى والحديث
عن أشخاصها.

وبعد العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ذهبت للعمل فى مدينة بورسعيد. التحقت - تحت التمرين - بشركة ملاحة. والتحقت بمكتب آلة كاتبة للتدريب، ولكن الشركة لم تمهلنى واستغنت بعد قليل من الوقت عن خدماتى. مكثت بالمدينة بعض الوقت للبحث عن عمل آخر دون جدوى. وجاءت أول انتخابات لمجلس الأمة بعد عدوان ٥٦، وكان التقدميون والشيوعيون يناصرون محسن لطفى، مرشح الحكومة، باعتبار الحكومة تنهج نهجا وطنيا، فى هذا الوقت، وساندته مع المساندين. وكنت أتعيش من كتابة كشوف المرشحين فى مكتب فؤاد هدية، مرشح الحزب الاشتراكى، لقاء علبة سجائر (للمدخنين) وشطيرتين من الفول والطعمية ساعة الظهيرة، خلاف الشاى والقهوة. كل

يوم. وفيما بعد عرفت أن محسن لطفى كان رجل مخابرات!. وعندما انتهت الانتخابات عدت إلى المنصورة. شعرت بمرارة الإخفاق فى حلقى ولم أتمكن من الكلام عندما رأيت أبى. وطفرت الدموع من عينى. وأدرك هو مابى فلزم الصمت، وضمنى إلى صدره فى حنان.

بعدها أحسست برغبة فى الكتابة تلح على. كتبت قصة عن تجربتى فى الحصول على عمل. وعندما أعدت قراءتها وجدتها أشبه بموضوعات الإنشاء فى المدارس الثانوية.

فى تلك الأثناء أعلن ديوان الموظفين عن مسابقة للعمل بالوحدات المجمعة، المجالس القروية الآن. تقدمت ونجحت بترتيب متقدم. استرددت ثقتى بنفسى. وأحسست بالزهو لعدم مساعدة أحد لى. فعند عودتى من معركة بورسعيد كانت معى بندقية آلية وصناديق صغيرة من الذخيرة وبطانيتين. وبعد انسحاب الغزاة سلمت عهدتى من السلاح والذخيرة، واحتفظت بالبطانيتين. وعندما قرأت عن مسابقة ديوان الموظفين، بعت البطانيتين. ومن ثمنهما دفعت رسوم الاشتراك فى امتحان المسابقة.

أتاح لى عملى فى الريف فرصة لقراءة الشخصيات على الطبيعة، كما أتاح لى وضعى الجديد مالا لشراء الجرائد والمجلات. وتركز اهتمامى على قراءة القصص والروايات والنقد الأدبى والفنى. وأعجبتنى مقدرة الكتاب على تصوير حيوات كاملةن يعيش فيها أناس بأفراحهم وأتراحهم. وكان أقصى أملى أن أفهم مايريد كل كاتب من قصته. شيئا فشيئا تفهمت طريقة كل كاتب فى نسج عمله.

وعندما كنت صبيا فى الرابعة عشرة، التهمت الكثير من روايات أرسين لوبين. ثم استأثرت روايات جورجى زيدان باهتمامى. كنت أجلس على كرسى مائل إلى حائط، ولاأترك رواية جورجى زيدان حتى آتى عليها. وكانوا ينادوننى لتناول الطعام، فأستمهلهم مرة تلو أخرى. ثم

أنهض على مضض، شبه منوم. وأعود مسرعا لاستئناف القراءة.
وفى سجن الواحات الخارجة. وتلال الرمل ممتدة أمامنا. والسماء صافية رحبة. والجبال على البعد تتغير ألوانها تبعا لحركة الشمس. كنت أمشى مع صلاح حافظ. وهو يحدثنى عن أهمية "التقمص". تقمص الفنان للشخصية التى يتحدث عنها. ليعى تصرفاتها وأدق خلجاتها. وأتذكر الآن أن التقمص كان فى دمى منذ الصغر. كنت مولعا بتقليد الشخصيات فى حركاتها الخارجية وفى أصواتها. وفى الحقيقة عندما أقول مولعا فإننى لا ألتزم الدقة. أحيانا كنت أضبط نفسى متقمصا لشخصية ما.. طريقة الكلام.. التفوه بألفاظ توقعتها من ادراكى لطريقة تفكير الشخصية. طريقة المشى. أقلد الخط من قراءتى لرسالة ما. كنت ألوم نفسى. وأعد بعدم الرجوع إلى ذلك.
وعندما جرفتنى الكتابة. استطعت تحويل تقمصى الشخصى للآخرين إلى تقمص فنى فقط.
وأثناء الدراسة الثانوية قرأت الروايات الأولى لنجيب محفوظ. وكنت أتبادلها مع الطلبة. وأذكر أن شخصياته الواقعية كانت محور نقاش بيننا. وفى عام ١٩٦٢ بسجن القناطر الخيرية قضيت ثلاثة أشهر لعدم استطاعتى دفع غرامة مئة جنيه محكوم علىّ بها. بعد أن أمضيت ثلاث سنوات فى السجن. وفى تلك الشهور الأخيرة قرأت ثلاثية نجيب محفوظ.
ولقد أتاحت لى حبستى الأولى من ٥٩ إلى ٦٢ فرصة نادرة للقراءة المنتظمة فى الأدب المصرى والمترجم. والتاريخ. والتراجم. والسياسة.
وعندما كنت فى سجن الواحات الخارجة. استفدت كثيرا من تواجد عدد كبير من الكتاب والفنانين. كنت وغيرى ندفع بقصصنا إلى الأستاذ صلاح حافظ. ونروح نتصيده لنناقشه

فيما كتبنا. وصلاح حافظ إذا انفتح فى الكلام لايمكن وقفه، تساعده ثقافته الغزيرة فى كافة فنون المعرفة، بالإضافة إلى حسه الفنى المرهف. وممارسته للكتابة الأدبية والصحفية. وكان اعتقادى وقتها أنه ينبغى كتابة القصة بالطريقة الكلاسيكية. فكل قصة لها بداية وعقدة ونهاية. وأتاحت لى مناقشاتى مع صلاح حافظ فرصة للتعرف على الآفاق الواسعة للفن وأنه لاحدود له. وأن القواعد الأرسطية لايجب أن تأخذ بخناق الكاتب الفنان. عليه أن يفهمها ويهضمها، ثم يختار طريقة الكتابة التى تروقه.

وكان الأستاذ ابراهيم عبد الحليم يهتم بما أكتب. يقرأه بإمعان، ويناقشنى فيه. ودائما يسألنى كلما قابلنى: أين ماكتبته.. ويعرضه على زملاء عديدين. ويحثهم على مناقشتى. وكان هو يدلى برأيه. وبعد أن يبذل مجهودا مخلصا لإقناعى بوجهة نظره. يطلب منى ألا آخذ بكلامه. إذا لم أكن مقتنعا به. ويحاول دوما إقناعى بأن ماكتبته له قيمة، وإلا ماأثار جدلا بين الزملاء. ولاينى يعرفنى بالكتاب والفنانين الآخرين، ويدفعنى لإعطاء أعمالى لهم.

والكاتب فى بداية حياته الفنية يلح عليه ويقلقه سؤالان هامان: هل هو فنان أم لا. وهل مايكتبه له قيمة أم مجرد كلمات فارغة. باختصار يكون فى حاجة لأن يثق بنفسه وبما يفعله. وأعتقد أن ابراهيم عبد الحليم قد لعب دورا هاما فى هذا الشأن.

وفى سجن مصر، كان إغلاق الزنزانات. طوال النهار تقريبا، بالاضافة إلى ليل طويل، سخيف.* ولكن لحظنا، أتاحوا لمندوبين عنا، الذهاب إلى مكتبة السجن. وكانت عامرة بكتب جيدة، تركها سجناء سياسيون قبلنا. كان مسموحا لكل منا بكتاب فى الأسبوع. ولما كان مندوبنا إلى المكتبة صديقى، وهو العزيز كمال القلش وكان يزاملنى فى الزنزانة. فقد موننى بكتب زائدة باستمرار. أقام صداقة مع أمين

المكتبة. وعلى حسها تجاوز المقرر لنا من الكتب. وكنا طوال الأسبوع نتبادل الكتب مع بعضنا بعضا، قبل موعد تغييرها.

ولقد أتاح لى إغلاق الزنزانات، ووجود الكتب، فرصة نادرة للقراءة.. فمثلا عندما وقعت بين يدى اعترافات روسو.. أردت أن أتفهمها أكثر. فقرأت معاصريه: ديدرو ومنتسكيو وفولتير.. وبعض ماوجدته من مؤلفات زملائهم.. وهكذا أحطت بالعصر كله، السابق على قيام الثورة الفرنسية.. وتفهمت جيدا دوافعها.. والأسباب المؤدية لقيامها.. كما أتيحت لى الفرصة لقراءة ستندال وبلزاك ومعاصريهما.. وتفهمت جيدا ظروف نشأة الواقعية.. والكتابات التى واكبتها سواء كانت أدبية أو علمية أو فلسفية.. وساعد هذا بلاشك على تفهم ماطرأ على الواقعية من تطور فيما بعد.. وأكسب المرء القدرة على القراءة الجذرية والموسوعية والنظرة الشمولية.. والتى لاتغفل فى نفس الوقت دقائق، وتنوع وتكامل وثراء الأشياء والظواهر.

ولاأنسى يوما، حدث تفتيش وكانوا يفتشون عن ممنوعات كالشاى والجرائد والمجلات والأقلام.. وكانت عندى رواية ستندال "دير بارم" بأجزائها المختلفة. اقترح القلش أن نخفيها فى صندوق الطرد. وكانت زنزانتنا من الزنزانات القليلة التى بها حوض ومرحاض. فى الحال أخلينا الصندوق من الماء، وأغلقنا المحبس. ووضعنا الدير مع كتب أخرى. كانت بحيازة القلش.

مر التفتيش بسلام. والضابط ورقيب الدور، وأحد معاونيه، يغادرون. فجأة شد الضابط من أنفه إلى الداخل، محدثا صوتا منكرا. ويبدو أنه فى شدته سحب مخاطا إلى فمه. أسرع يبصق فى المرحاض. وجذب يد صندوق الطرد. فلم تطاوعه. نظر إلينا فى تساؤل، وجذب ثانية.. وعدة مرات. اضطربت صدورنا.. وقلنا ببراءة الأطفال:

ـــ المحبس مقفول.
لم ينتبه الضابط لعدم وجود علاقة بين وجود الماء وعدم مطاوعة اليد له. وفتح المحبس وغادرنا مسرعا لتفتيش باقى الزنزانات. تدفق الماء، وكأنه فوق رءوسنا. وماكاد باب الزنزانة يغلق بالمفتاح، حتى أسرعنا إلى الصندوق ونزعنا غطاءه.. كان الدير قد غرق ومن معه.
ظللنا عدة أيام ننشر الكتب فى الشمس، على إفريز نافذة الزنزانة، المواجهة لحوش السجن.

كرسى الخديو

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

مازالت ترن فى أذنى صيحة الممثل حسين رياض فى مسرحية ايزيس للحكيم:

ــ أنا توت.. توت المسجل.

ظللت أصغى إلى الراديو عدة ساعات، حتى انتهت المسرحية المذاعة من دار الأوبرا. ولم تهن من عزم الصبى الصغير محاولة أهل البيت تغيير المؤشر، أو إغلاق الراديو. وعشش الحلم فى مخيلتى.. أن أذهب إلى القاهرة وأشاهد عروض الأوبرا. انتهزت أول فرصة سنحت لى، كنت فى السنوات الأولى من المدرسة الثانوية، وكان لى صديق متخصص فى السفر المجانى وشبه المجانى. تجده يخطب فى الطلبة، بمناسبة معرض كذا، سيكون السفر إلى القاهرة بربع الأجرة، فمن يرغب فى السفر التواجد فى محطة المنصورة الساعة السابعة من صباح غد.

وبالفعل كنا نجتمع بأعداد كبيرة ونحتل عربة قطار، دون أى أجر على الإطلاق، ونظل طوال الطريق نرقص ونزيط، وقد استعد بعضنا برق، وطبلة، وتصدح الأغانى وتتعالى الضحكات. وياويل "الكمسارى" إذا حاول الكلام معنا. وعندما نصل إلى القاهرة، لم يكن أغلبنا يذهب إلى أى

معرض.. فمن له قريب زاره.. ومن توجه لزيارة جامع السيدة زينب أو جامع الحسين. ملت على صديق هامسا..

— نفسي أدخل دار الأوبرا

— سنتأخر عن موعد العودة (كنا نتفق على موعد قطار العودة فى نفس اليوم)

— لاتهتم..

اقتربنا من دار الأوبرا، وأخذنا نقرأ أسعار الدخول. وجدنا أعلى "البلكون" بتسعة قروش وحسبنا القروش التى معنا، ودخلنا. شاهدنا مسرحية "حسبة برما". ولم يصدقنى اخوتى، عندما أخبرتهم أنى دخلت الأوبرا، ورحت أصف لهم مقصوراتها والرسومات الملونة فى قبتها. وكان تعليق أبى الوحيد.. لاتمش مع هذا الولد مرة ثانية (الذى زاملنى)، حتى لاتتأخر عن البيت، وحتى لاتتعلم الكلام البذىء (وكان مشهورا بذلك). وفى الحقيقة، كنت أحبه لهذا السبب. فقد كان ومايزال يحفظ عدداً كبيراً من النكات البذيئة، جعلته نجم أى جلسة سمر فى الفسحة أو فى الشارع، أو فى الرحلة وبعدها. لم تنقطع رحلاتى. كنت أنتهز أى فرصة لأذهب إلى مسرح الأزبكية أو الأوبرا.. متغلبا دائما على عقبة ثمن التذكرة عندما ارتفعت قيمتها. وقد تفنن صديقى الممثل أحمد عقل فى طرائق الدخول. فهو دائما يعرف صديقا يعمل فى هذا المسرح أو ذاك، نستطيع بواسطته الدخول بعد رفع الستار بقليل. وحين لايجد "معرفة" فى مسرح ما، يدخل فى جرأة متخطيا القائم بالباب. وأنا وراءه، قائلا: أحمد عقل ممثل فى مسرح العرائس (هو الآن مسرح الطليعة). وعندما يفيق الرجل من دهشته نكون فى منتصف الطرقة. وطبعا يصعب اقناعنا بالعودة، فهو والرجل زميلان فى الفن. ولقد تخصص صديقى هذا فى دخول الأوبرا من الباب الخلفى. كنا نذكر اسم أى ممثل، وأننا نريده فى مسألة شخصية، فيسمح لنا رجل الباب بالولوج إلى غرفة الملابس. ومن هناك نتسلل من خلف المسرح إلى الصالة. ويوم حضور جوزفين بيكر، كان محالا أن تفوتنا مشاهدتها. وذكر أحمد

عقل اسم ممثل، فقال الرجل غير موجود. فحاول أن يمزح معه. فلم يستجب. فقال له: أنا فلان ممثل فى... فرد ببرود:
ـــ تشرفنا.
أخيرا قال أحمد عقل:
ـــ يدك أبوسها.
وانحنى على يد الرجل.
ـــ استغفر الله. ويتراجع إلى الخلف - دهشة وحياء - ونحن نتقدم.
ويدك أبوسها، وأستغفر الله، وأصبحنا خلف خشبة المسرح. وبينما الرجل غارق فى خجله، تسللنا من الكواليس إلى الداخل. وبعد العرض الغنائى. تقدم محمد عبد الوهاب لتهنئتها، وبينما يقبل يدها، حياه الجمهور مصفقا. وأصر أحمد عقل على تهنئة جوزفين بنفسه نائبا عن فنانى مصر غير مكتف بعبد الوهاب. واصطحبنى معه نائبا عن كتاب مصر.
وكان المشكل فى دار الأوبرا هو إيجاد كرسيين خاليين تجلس عليهما. فالكراسى مرقمة وكل يعرف مكانه. وعرفنا أن من تقاليد الأوبرا عدم دخول أحد إلى الصالة بعد انطفاء الأنوار. ولما كان الكثيرون فى المقصف لايسمعون جرس البداية، فهم يقفون خلف كراسى الصالة حتى انتهاء الفصل. فكنا نلبد فى الخلف، وأعيننا على الكراسى الخالية، وعندما يرن الجرس، وتبدأ الأنوار فى الانطفاء، نسرع إلى كرسيين خاليين، دون مبالاة باحتجاج زوجة، أو صديقة، أن هذا كرسى زوجها، أو من معها.
ونكتم ضحكنا حتى ينتهى الفصل، ونسرع ناحية المقصف، حتى يقترب موعد الفصل التالى. انطفأ النور وأسرع أحمد إلى كرسى، وبينما أجد فى أثره، أسرع رجل من الجهة المقابلة إلى الكرسى المجاور. اضطررت إلى السير قدما حتى جانب الصالة. وفجأة وجدت أمامى كرسيا من الحجر معلقا فى جانب الحائط تحت إحدى المقاصر. يبدو أنه لحارس فى سالف الأزمان. توجهت إليه، فاعترضنى

أحدهم، أشرت إلى المقعد الخالى، فضحك الرجل وقال:

— إنه موضوع من عهد الخديو. فعاجلته:

— أعلم.. فقد وضعه خصيصا من أجلى.

وبعدها لم نعد نقنع بالجلوس فى الصالة. ولست أدرى كيف تعرف أحمد على "مدام" زينب، وهى امرأة بدينة طيبة، معها مفاتيح المقصورات. أطرى محاسنها المفقودة، وجرها فى الكلام، حتى عرف أنها تعول عدة أولاد. أقنعها أنه سيقويهم بالدروس، ليتفوقوا فى المدرسة. طلبت منا أن نصبر قليلا، وبعد فتح الستار بقليل بحثت لنا عن مقصورة خالية، وفتحتها لنا. ومن يومها انحصر إهتمامنا فى الإفلات من الباب.. أما الجلوس، فإن إحدى المقاصر، كانت فى انتظارنا دائما.

شارع الخلا

◎ ◎ ◎ ◎ ◎

بعد نشوب حرب ٦٧ بساعات
قلائل. وجدت نفسى ملقى
تحت دبابة نجدة عاطلة على
طريق رفح. بالقرب من جرادة.
مصابا بشظية تحت إبطى.
وغارقا فى دمائى. أغمى على فترة لايعلم مداها
إلا الله. وعندما أفقت وجدت كتيبتى المشاة قد
مزقتها الطائرات.

عبر طابور دبابات اسرائيلى أمامى. ظننتها
النهاية. زحفت من مقدمة الدبابة إلى مؤخرتها.
أطللت من جنب الجنزير. وشاهدت العدو لأول مرة عن
قرب. سحن "خواجات" برزت من أبراج الدبابات. وقد
تهوش شعرهم ونمت لحاهم. وكلما تحرك مدفع أحد الأبراج
ظننت أحدا شاهدنى، وسيدمرنى فى الحال. وظللت
أتقلب فوق أتون أعصاب متقدة. حتى مر الفوج اللعين.
اقترب منى الموت عدة مرات. وفى الليلة التالية ظل ملازما
لى أيضا. لذلك كان أول شىء فكرت فيه بعد عودتى من
الأسر هو مؤلفاتى. وكان سؤال يطن فى رأسى: لو لم تقدر
لى العودة.. مامصير مخطوطات روايتى شارع الخلا ونافذة
على بحر طناح وعدة قصص قصيرة..؟! فى أحسن الأحوال
ستتحول إلى قراطيس عند بائع ترمس. أو يلف بورقها بقال
الحلوى الطحينية لزبائنه.

ولم أضيع الوقت فى اللف على دور النشر المختلفة. فمثلا دار الكاتب العربى التى تعلق بها الجميع. إذا نشرت لأحدهم، أهملت بجواره عشرة. ناهيك عن الانتظار عدة سنوات حتى يرى المطبوع النور.
وكان ماشدد من عزمى أنى معرض دوما للاعتقال أو السجن. وعلمتنى خبرتى أن الأوراق والكتب التى يأخذونها فى كل مرة يفتشون فيها منزلى بحجة الاطلاع عليها واعادتها، لاتعود ابدا. وأفضل طريقة لعدم ضياع أى مؤلف هى نشره على أوسع نطاق.
بعد "شارع الخلا" هيأ لى طموحى أن أساعد أصدقائى الأدباء. فكانت سلسلة "أدب الجماهير". اتفقت مع الصديق عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل على طبع مجموعته القصصية "أحلام ترانزستور"، وكانت ظروفه المالية عسيرة للغاية.
ولم يكن يستطع الوعد بشىء، سوى توزيع كتابه. وماذا يجدى مثل هذا الوعد أمام صاحب مطبعة يريد عربونا قبل بدء العمل..؟!
وتفتق تفكيرنا عن طبع ايصالات بثمن الكتاب، يشتريها القارىء مقدما، وعندما يتم الطبع يحصل على نسخة. وبالفعل طبعنا عدة دفاتر. وقام عبد الفتاح ببيع عدد كبير منها لزملائه عمال وموظفى سكك حديدية وجه بحرى. وساعده بعض الأصدقاء، أذكر منهم الدكتور أحمد حجى الذى وزع كثيرا من النسخ بعد الطبع على أبناء قريته سندوب. وتطوع محمد حجى بوسم الغلاف. ولما كانت الجماهير هى التى قامت بتكلفة الكتاب فعلا. فقد استحقت أن نستعير اسمها.
قبل أن نهتدى إلى فكرة بيع الإيصالات، تحملت نفقات طبع "شارع الخلا" دبرت مبلغا بسيطا، وقامت زوجتى برهن خاتم ذهبى. ولم يتجاوز ماجمعناه ثلاثين جنيها. ولزم مثلها حتى نتم طبع ألف نسخة. كنا فى أواخر الستينات، وكان

هذا المبلغ يعتبر كبيرا وقتها.
دفعت بالأصل إلى مطبعة أحمد السيد بالمنصورة، دون تصريح من الرقابة، آملا أن يتم طبع الكتاب بسرعة، حتى نفوت عليهم فرصة تعطيلنا. وكان وقف الطبع معناه ضياع العربون، وضياع أحلام النشر. وكنت أتوقع أن يعترضوا على موقف فى الرواية يحتك فيه أحد أبطالها بضابط شرطة، ويوبخه على مرأى من الناس. ولقد صح توقعى، عندما قرأها أحد ضباط أمن الدولة فيما بعد، وناقشنى فى هذا الموقف بالذات.

وكان يقوم بجمع الحروف عامل اسمه زهران، حاولت معه كل مايمكن تخيله ليسرع، من سجائر وشاى إلى وعد ببقشيش كبير عندما ينتهى. وبينما أعصابى تتمزق، كان هذا الزهران لاينجز أكثر من صفحتين فى اليوم عندما يكون نشيطا، وصفحة واحدة فى أغلب الأحيان. ويعطينى وعودا زائفة كل يوم، ومواعيد أكثر زيفا غدا. ويوميا يتعين على أن أرجوه ليعد لى "تجربة". فهو دائما يحتج أن شغله لايحتاج إلى تصحيح. وعندما أنبهه إلى ألف زائد أو نقطة لالزوم لها، يبدى عجبه ويقول:
ـــ ياسيدى.. لاتفرق كثيرا..!!
وإزاء عناده، تعلمت كيف أمسك بملقط الحروف، وكيف أغيرها. وبالطبع حفل الكتاب بأخطاء كثيرة. بعضها منى، لغفلتى حينها عن بعض قواعد النحو، والآخر أخطاء زهرانية. ولقد خفف من غمى، الأخطاء الفادحة التى رأيتها فى مطبوعات دار الكاتب العربى.

وعندما انتهى طبع الكتاب، بعد عدة شهور، أخبرنى زهران أن شقيقته مدرسة وزميلة شقيقتى، وأنه يعرفنى، وشكرنى على خدمة أديتها لها. ترى.. لو لم يكن يعرفنى فماذا كان سيفعل معى..؟! ولماذا أخفى معرفته لشخصيتى.. ليظل يبتزنى أكبر فترة ممكنة..!

وتعلمت بعدها، من خلال تعاملى مع عمال عدة مطابع، أن كلهم زهران..!!
وبالطبع لم أرسل الكتاب إلى دار توزيع، لأنهم يشترطون عدة آلاف من النسخ، مطبوعة على ورق جيد. وكان المشكل هو فك رهن خاتم زوجتى، فحصولى على ثمن كتاب أو كتابين كل مدة. كان يضيع من جيبى. ولم أتمكن من تجميد أى مبلغ من حصيلة البيع.
والتمست التعويض فى اهتمام الأدباء والنقاد بالرواية. وزعت هدايا منها على الكتاب والمحررين فى الصحف والمجلات المختلفة. وبينهم أصدقاء وزملاء. وتمر الأيام.. ولا حس.. ولا خبر.
وجعلت أستعيد فى ذهنى ما "ارتكبته". لقد كتبت عن جو جديد، لم يسبقنى إليه أحد "عصارة قصب فى شارع شعبى". وعجبت لصمت اخواننا التقدميين. فلقد حفزنى إلى كتابة هذه الرواية مقولة عبد الناصر عن "الرأسمالية غير المستغلة".
كنت وقتها عائدا من سجن الواحات الخارجة فى أوائل الستينات. وقد فقدت أبى، وعملى فى وحدة مجمعة. وعملت فى عصارة قصب باثنتى عشر قرشا يوميا. ورأيت صاحب العصارة وهو معدود فى حكم الناصرية "رأسمالى غير مستغل" يمتص دمى ودم العمال. عمال يعملون نهارا كاملا وليلا حتى منتصفه نظير عشرين قرشا فى اليوم لكل منهم. وعند الانقطاع عن العمل لأى سبب لايتقاضون أجرا. بينما هو يكسب من وراء عملنا أكثر من عشرين جنيها فى اليوم "ست مئة جنيه شهريا" مايوازى مرتب سفير.
ولقد ذهبت إلى منزل صاحب العصارة ورأيت معيشته الفاخرة. ينام جانبا كبيرا من النهار. ويلهو ليلا ويدخن الحشيش، ولايحضر إلى المحل إلا عند إغلاقه، ليتسلم المعلوم.

ترى.. ألم أستطع أن أقول بشكل فنى..؟!
ترى.. ألم أستطع توصيل شىء إلى القارىء..؟!
بينما كانت أسئلة كثيرة تؤرقنى، كان الصمت تاما حول كتابى.
وعندما كنت ألتقى أحداً من المحررين لاأسأله، خجلا، وأقول لنفسى: مادام الكتاب لم يدفعه لكتابة شىء فما فائدة السؤال..؟!
إلى أن كان يوم قابلت فيه صديقى كمال القلش، وقفز منى السؤال. فقال انه فى انتظار أن يرى ماسيكتبه صلاح حافظ. كان يعلم أن صلتى بصلاح حافظ لابأس بها، وتوقع أن يكتب عن كتابى. وأخيرا كتب القلش، كتب فى اطار مشكل من يطبعون على نفقتهم الخاصة. وتحدث عنى أكثر مما تحدث عن الكتاب. والحديث عنى مشكل ظل يضايقنى زمنا. كانوا يقولون اشترك فى حرب كذا، وعمل كذا. كنت أريدهم أن يتعرضوا لفنى لا لحياتى. وفى السطور القليلة التى مس فيها القلش الرواية، كانت نغمته متعالية.
وحين ذهبت بـ "شارع الخلا" إلى مجلة روز اليوسف، قلب صلاح حافظ (نائب رئيس تحرير المجلة وقتها) الكتاب بين يديه وقال: لم فعلت هذا.. لو جئت هنا لطبعناه لك..؟!
وبعد أن قرأه قال:
ـــ انه أفضل من كتب كثيرة تصدر هنا.
ووعد بأن ينشروا شيئا عنه. وتصادف وجود الهامى سيف النصر، فأخذ نسخة ووعد بعمل صفحتين عن الرواية..
(و آدى وش الضيف..!!)
ولم أكذب خبرا، وناولت صلاح حافظ روايتى الثانية "نافذة على بحر طناح". فطلب منى أن أنتظر بعض الوقت لأن نوال السعداوى أعطتهم رواية لنشرها. وبالطبع استجابوا لها..
بينما انتظرت اثنى عشر عاما.. حتى صدرت مؤخرا عن دار "الثقافة الجديدة".

وفوجئت ذات يوم بمقال لسامى خشبة فى "الجمهورية". بعد الثناء على مقدرتى ودقتى فى الوصف. انهال لوما. مطالبا اياى بضرورة القراءة فى علم النفس... و... و...
نفس التعالى الذى كان فى مقال القلش. تعالى من يعيشون فى العاصمة ويظنون أنهم أكثر ثقافة وعلما ممن يعيشون فى الأقاليم. من أين تأتى له أن يعرف أنى لم أقرأ فى كذا وكذا.. ولكنى فى الحقيقة حمدت له اهتمامه بالكتاب. رغم أنى لم أهده له. ورغم أننا لم نلتق من قبل. وعندما التقيت القلش منذ وقت قريب. تذاكرنا حكاية "علم النفس". وأغرقنا فى الضحك.
وبعد عدة سنوات من صدور الكتاب. كتب عنه على شلش مقالا نقديا وافيا فى العدد الوحيد الذى صدر من مجلة "الثقافة الجديدة". وأسعدنى أن ينتبه لمغزاها التقدمى. بعكس يسارى دكرنس الذين ادعوا عدم توزيع النسخ التى أرسلتها إليهم بحجة أن مضمون الرواية ليس تقدميا..!! وإذا كانت هذه الحجة مقبولة لعدم التوزيع فلماذا لم يعيدوا النسخ لى وماهى حجتهم عندما وزعوا خمسين نسخة من كتاب أحمد حجى "الكلمات والبارود" ولم يسددوا ثمنها لى بصفتى الناشر حتى كتابة هذه السطور..؟!
وأعلنت على شلش عدم موافقتى على ماذكره فى مقاله أن بطل الرواية لم يفعل شيئا سوى أن يستسلم. وأنه ليس به شىء ايجابى. وأنه لولا هذه الهنة لاعتبرت روايتى بداية ناضجة. كما كانت زقاق المدق البداية الناضجة لنجيب محفوظ.
وعندما نبهته إلى أن مقولته لاتعدو مجرد اجتهاد يحتمل الصواب والخطأ. بدا مندهشا بعض الشىء. ثم أمن على قولى بعد أن أدرك أن حكمه ليس كحكم قاض غير قابل للطعن.
وفى الحقيقة. لقد فكرت فى مقولته كثيرا. بل هى لاتنى تلح

على فكرى رغم انقضاء سنوات عديدة على كتابتها، وأروح أقلب أوجه الفكر. هل أخطأت وأصاب هو فيما انتهى إليه. ثم لا ألبث أن أفكر على هذا النحو: من قال أن كل بطل لابد أن يكون بداخله شىء ايجابى، يجعله يتمرد، أو يثور ضد واقعه. ألا نرى آلاف الأشخاص لايعملون شيئا ضد واقعهم السىء، سوى أن يقبلونه كما هو. وأنه لو أبدى ملايين الناس مجرد لفتة معارضة ضد واقعهم غير المرغوب فيه، لتغير حال الدنيا من حال إلى حال.

ثم أليس لإدراكهم حقيقة ظروفهم دخل فى تمردهم أو ثورتهم..؟

قد يكون بداخلهم شىء ايجابى، ولكنهم لايدركون فعلا المسببات الحقيقية وراء سوء واقعهم، فكيف يتمردون أو يثورون..؟!

لاأستطيع بسذاجة أن أجعل بطلى متمردا أو ايجابيا أو ثوريا، دون أن تكون هناك ظروف تدفعه إلى ذلك، وإلا كنت أبله. أو أقوم برسم أنماط عى حساب الحقيقة. ثم أليس رسم بطل بهذه السلبية، إدانة له ولمجتمعه، ولقد اعترف على شلش بهذه الإدانة فى مقاله (فى حين أنكرها يساريو دكرنس).

ثم من قال أن التمرد أو الثورة، لابد أن تكون زاعقة. أليس فى محاولة البطل الاستذكار لنيل شهادة الثانوية العامة دليلا ايجابيا على رغبته فى تحسين وضعه. صحيح أنه فشل، ولكنه حاول على أية حال، ثم أليست محاولته السرقة من المحل هى محاولة تمرد - ولو خاطئة - ضد مستغله..؟!

أما الصديق رفعت السعيد (دكتور الآن وأمين عام حزب التجمع) فرغم وعوده بعمل الكثير، فلم ينشر حتى خبرا عن الرواية فى محلة الطليعة التى كان يعمل بها وقتها، وعندما لقيته بعدها بسنوات، قال أنه أعطى الرواية للويس عوض. وقابله بعدها مستفسرا. فمط لويس عوض شفتيه وقال:

الرواية دي فى حاجة ...!!
وذات صباح كنت أسير على كوبرى طلخا، فى طريقى إلى مجلسها، حيث كنت أعمل وقتها، عندما استوقفنى ضابط شاب، كان يرأس سرية لحراسة الكوبري، وطلب أن نلتقى. فحددت له موعدا. وقد علمت فيما بعد أنه عرفنى من تردده على المجلس. قال:
— قرأت "شارع الخلا"
كنت قد نسيت مالقيته من إهمال بعد نشرها وقتا ليس بالقصير – لماذا تنكأ الجراح..؟!
— شكرا
وأخذ يناقشنى مناقشة خبير بالأدب، إلى أن قال:
— "آنزا" هذه جديدة.
حتى هذه تنبهت إليها. فهى ليست موجودة فى معاجم اللغة، ولقد أخذتها من العامية. حين وجدتها تعبر أصدق تعبير عن موقف فى الرواية.
أية مشاعر تلم بالإنسان. وشاب لايعرفه، يقول له أنه يعرف مافعله منذ سنوات، وكان يظن أن أحدا لن يلتفت اليه.
وعندما كنت فى سجن الاستئناف ابان حوادث الطلبة فى أول عام ١٩٧٣، وبينما كنت أمشى فى الطرقة، استوقفنى شاب.
— ابراهيم نوار.. من دسوق وطالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
— أهلا وسهلا.
— قرأت روايتك "شارع الخلا" عندما كنت فى الثانوى.
انتزعنى فجأة من هوة عميقة.
ولست أزعم أن روايتى هى السبب فى ثوريته. ولكن يكفى أن قرائى يدخلون السجن أيضا..!!

الجنابية

◎ ◎ ◎ ◎

فى مناقشاتى مع الأستاذ ابراهيم عبد الحليم بسجن القناطر الخيرية وسجن الواحات الخارجة، كان يحضنى دوما للكتابة عن الجديد فى حياتنا. وكنت قبل سجنى، فى أواخر الخمسينات، قد عملت فى وحدة مجمعة. وكانت مشروعا جديدا وقتها. وفكرت فى الكتابة عنها. ولكنى لم أستقر على فكرة ما أو على طريقة فى الكتابة. وعندما أعيد تعيينى مرة أخرى، تصادف أن عملت بالوحدة المجمعة بطناح. وهى نفس الوحدة التى عملت بها قبل فصلى من العمل ودخولى السجن. وجعلت الفكرة تلح على. فكرة الكتابة عن الوحدة وأثرها فى القرية. ولكنى لم أعثر على مايمكن تنميته ليدور حوله العمل.. حدث أو شخصية محورية. وبينما أقلب فى محاضر جلسات المجلس القروى استهوتنى مشاكله. ولفت نظرى مشكل دون حل، يرحلونه من عام إلى آخر. وهو مشكل ردم الجنابية، تلك الترعة الجانبية فى كل قرية، تستعمل كمصرف، وتصل القرية بالترعة العامة التى تمر بالقرى. وعجبت فى نفسى. هذه الجنابية تطالعنى يوميا فى طريقى إلى الوحدة، ورأيت محاولات الفلاحين لردمها دن جدوى. بعد أن أصبحت بؤرة للعفونة. تؤذى سكان

البيوت المطلة عليها . كيف لم يخطر ببالى هذا الموضوع من قبل..؟!
وشغلنى التفكير فى المضمون وكيفية معالجته. وفى تلك الأثناء تركت الوحدة. وذهبت للعمل فى مكان آخر. فأتاح لى ذلك إلقاء نظرة شاملة من بعد على الوحدة ومشاكلها وشخصياتها. ولكن المعالجة مازالت مستعصية. ونسيت الأمر، أو هكذا خيل إلى. وذات يوم، بينما تتخلق فى فكرى احدى الشخصيات، وأفكر فى بنائها الفنى، صحت فى نفسى: هذا هو المهندس الزراعى الذى أريده. فهو يتمتع بمظهر سوى وقانونى لاغبار عليه. ويخفى فى نفس الوقت حياة جانبية غريبة، لايصدقها من يطالعه مظره السوى.
وعلى الفور حاولت الربط بين الجانبى فى حياة الإنسان والجانبى فى حياة القرية. واكتشفت أن أى انسان له حياته الجانبية، أو جانبه الخفى مهما كانت ضآلته. بعضهم يخفى هذا "الجانبى" ببراعة عن الأنظار. وآخرون يفشلون فى مداراته. ونفر من هؤلاء وأولئك، يحاولون - دون جدوى - التخلص من "الجانبى"، لأنهم فى أعماقهم غير مستريحين له. ووجدت أن ماينطبق على الإنسان ينطبق على القرية.
وجعلت أبنى شخصياتى، وأشكل مضمونى.. على مستويين.. مستوى ردم الجنابية الفعلى ومستوى "الجانبى فى حياة الإنسان". وكنت ومازلت أعتقد، أن العمل الأدبى، يجب أن يحوى أكثر من مستوى.. مستوى يدركه القارىء العادى، أو مستوى يدرك من السطح، ومستوى يدركه المتعمق، أو من يتعب نفسه قليلا.
ففى روايتى "المحاصرون". مستوى حصار كتيبة بنيران العدو الاسرائيلى، ومستوى حصار أحد أبطال الكتيبة فى قريته بالتخلف والفقر وأعداء التقدم. وأذكر أن أحد النقاد لحظ مارميت إليه. ونقل فى نقده نفس العبارات الدالة على ذلك فى الرواية. الأمر الذى طمأننى أن ماأوردته لم يضع بين

ثنايا السطور دون أن يلحظه أحد.
وقصة "المحاصرون" مستوحاة مما حدث لكتيبة الدكتور أحمد حجى. وكان يقص على أحداث الكتيبة كلما حضر من الجبهة إبان حرب الاستنزاف. وكنت أسجل ملاحظاتى، حتى اختمرت الرواية فى رأسى، وشرعت فى الكتابة. وعندما بيضت أغلب فصول الرواية، دفعت بها إليه لأسمع رأيه، فبطلها الرئيسى أخذ كثيرا منه.
وعندما أصيب بالتهاب فى المرىء، طلبت منه أن يمر على ليقرأ الفصل الأخير، قبل ذهابه إلى المستشفى وقد فعل. وأحسست براحة عندما لم يبد أى اعتراض أو ملاحظة. وبعدها لم أره أبدا.
فقد أهملوا علاجه. وتدهورت حالته. حتى وافته منيته وهو فى حيوية الشباب. ولم أحزن لوفاة أحد كما حزنت لفقده. ومازلت حتى الآن أذكره بين حين وآخر، وأسأل نفسى، أمعقول أن أحمد بكل شبابه وحيويته قد مات..؟!
وعندما أنجزت روايتى عن طناح أسميتها "الجنابية". وبعد مدة تنبهت إلى أن كثيرا من أبناء المدن لايعرفون ماهو المقصود بهذه الكلمة. وفكرت فى تغيير العنوان.. وظللت مترددا.. فعنوان "الجنابية" يساعد على فهم ماأرمى إليه.. أو على الأقل يوحى به. وأخيرا قضيت على ترددى وغيرت العنوان إلى "نافذة على بحر طناح". مقنعا نفسى أن الذى يُعمل الفكر قليلا بعد قراءتها سيصل إلى مرادى، وبالتالى فلا حاجة إلى مساعدته بمثل هذا العنوان.
وعندما قررت طباعة "نافذة على بحر طناح" رفضتها الرقابة. وحاولت مرتين أخريين دون جدوى. وفى المرة الثالثة اغتاظ الرقيب، فكتب عليها بالحبر الأحمر (لاتنشر من ص٢ إلى ص٦٤) أى كل الرواية. ووضع علامة X كبيرة بالحبر الأحمر فوق كل صفحة فولسكاب.
وتهربا من الرقابة. وخشية من ضياع الرواية، طبعت مئتى

نسخة بالاستنسل. وكانت كل نسخة منها أشبه بـ "تهمة ".
ورغم شكاوى الكثيرين من رداءة الشكل والطباعة. إلا أن الأمر لم يخل مما يثلج الصدر. فذات يوم علمت أن صديقى الناقد محمد جاد البنا يبحث عنى.
ولما التقيته، أبلغنى أنه فوجىء بمثلى يكتب عن الطبيعةن وأن الرواية تتخللها روح الشعر. وسألته عن اللغة - وقلبى يدق بعنف - فهو خريج دار العلوم، فطمأننى، ووعدنى بالكتابة عن الرواية. وكعادة النقاد، لاترى وعودهم النور إلا فيما ندر.

سلامات

◎ ◎ ◎ ◎

لم استطع أن أوزع من كتابى "شارع الخلا" سوى نصف عدد النسخ. وبانت خسارتى واضحة. ومع ذلك قررت طبع كتابى الثانى، مجموعة قصص قصيرة بعنوان "سلامات".

وبالفعل دبرت مبلغا من المال. ودفعت بالكتاب إلى المطبعة.

وعندما صدر الكتاب رحب به فاروق منيب على صفحات المساء. وأثار عليه الأدباء الشبان بالقاهرة، وعاتبوه لأنه كتب بحفاوة عن أديب من الأقاليم. هؤلاء كانوا يلقوننى بالأحضان. ولكن يبدو أن نظراتهم القاصرة صورت لهم أنهم قمة الإبداع الأدبى فى مصر، مادامو قد نزحوا من مدنهم أو قراهم فى المحافظات المختلفة وأقاموا فى القاهرة، وأن من يقيم بعيدا لايمكن أن يطاولهم. ولست أدرى، ماهى العلاقة بين جودة الإبداع، وبين الإقامة فى القاهرة من عدمه..؟!

وتوالت المقالات عن "سلامات" فى الجرائد والمجلات المختلفة.

وحدث أن كنت أجلس مع الناقد ابراهيم فتحى وحضر عبد الفتاح الجمل، وكان وقتها مشرفا على الصفحة الأدبية فى "المساء" فأومأ له ابراهيم قائلا : يعوزنا نأخد هذا الزبون وشا. ثم التفت إلى قائلا :

ـــ المجموعة تدور حول موضوع واحد وفى صوت واحد وفى جو واحد وهذا شىء جديد.

وعندما قابلته بعدها اعتذر أن أحدهم استعار نسخته ولم يرجعها، فأعطيته نسخة أخرى. وتصادف أن قابلته فاعتذر عن عدم الكتابة بنفس العذر وأعطيته.. واكتشفت فى النهاية أننى سأفقد نسخ الكتاب كلها قبل أن يكتب ابراهيم فتحى حرفا واحدا.

ورغم ماعانيته فى توزيع "شارع الخلا" فقد وزعت كتاب "سلامات" بسهولة. ولست أدرى لماذا لم أفكر فى طباعته مرة ثانية. وعلمت فيما بعد أنهم أخذوا الكتاب فى مركز توثيق خاص بالكتابات المتعلقة بحرب ٦٧. وكانت بعض قصص هذا الكتاب مكتوبة فى اسرائيل على ورق شكائر الأسمنت. وهربتها معى عند عودتى من الأسر.

وهذه الأصول، محفوظة فى متحف جريدة "البرافدا كومسمولكايا" بموسكو.

كراكيب

◎ ◎ ◎ ◎

كنت أجلس على مقهى جعفر
بالمنصورة، أعبث بمؤشر راديو
ترانزستور. فجأة ازدادت دقات
قلبى وأنا أسمع اسمى يتردد.
طلبت من أصدقائى السكوت.
وألصقت أذنى بالراديو. عبثا يحاول مقدم
البرنامج أن يجد قصة فى مجموعة "كراكيب"
تحوز رضاء الحاضرين. أخيرا تعطف صبرى
حافظ - دكتور الآن - وقال: قصة "المفتشون"
فيها مقومات قصة. وكأنما عز عليه الاعتراف
بذلك. أردف يقول: ولكن على المؤلف أن يهتم بلغته إذا أراد
أن يكون كاتبا. ثم تحدث زميله فى الندوة القاص عبد
الحكيم قاسم. وأبدى عجبه لأن مجموعة قصصية ضمت
مسرحية للعرائس..!!
واشفقت على مقدم البرنامج وهو يحاول أن يختم الندوة
بالبحث عن كلمة طيبة تقال فى حق المؤلف. "الشقة
الجديدة" أول قصة فى المجموعة. وأول قصة أفوز بها فى
مسابقة. كنا فى سجن الواحات الخارجة عام ١٩٦١.
واقترح بعضهم عمل مسابقة فى القصة القصيرة. وكانت
لجنة المسابقة تضم الأساتذة الأديب والكاتب الصحفى
صلاح حافظ والناقد محمود أمين العالم والفنان حسن فؤاد
والأديب ابراهيم عبد الحليم و آخرين لاتحضرنى أسماؤهم.
اشتركت بقصتى "الشقة الجديدة" وكانت المفاجأة فوزها

بالجائزة الأولى مناصفة مع قصة لقدرى شعراوى. وكانت جائزتى علبة كاكاو، وهى تبرع مما جاء فى زيارة أحد الزملاء الأثرياء. أما أنا فلم يزرنى أحد من أهلى منذ وصلت الواحات الخارجة لتكلفة السفر الباهظة ولبعد المسافة، خمس مئة كيلو متر داخل الصحراء الغربية من أقرب نقطة عمران.

عزمت أصدقائى لاحتساء الكاكاو الساخن.

وتحدثت مع صلاح حافظ عن سبب فوز القصة، فأخبرنى أنها عالجت بفنية عالية مسألة انتصار الجديد على القديم. وسمعت من آخرين قرأوا القصة اعجابهم بفكرة رقائق البياض، والتى عن طريق ألوانها المختلفة تتذكر البطلة ماضى حياتها المعاصر لتتابع الألوان. وعندما تركت السجن وقرأت هذه القصة لأمى بكت بتأثر، ولم تعلق بكلمة.

ولقد نسخت هذه القصة، وأرسلتها من السجن بالبريد إلى قريبة لى، وحصلت عليها منها فيما بعد ونشرتها.

وعندما تولى صلاح حافظ الإشراف على مجلة "آخر ساعة" أضاف ملحقا من ورقتى جرائد ليباع مع المجلة. ونشر "الشقة الجديدة" فى أول ملحق، وكانت حُسن شاه مشرفة على الملحق مع الدكتور رفعت كمال. وكنت عندما أنشر قصة لاتحوز إعجاب حُسن تقول: لا يافؤاد.. هذه ليست مثل "الشقة الجديدة". وكانت مكافأتى عن القصة فى ملحق آخر ساعة ثلاثة جنيهات، وعبثا أحاول إقناع صلاح حافظ بزيادة المكافأة، فأقل عارضة أزياء تصرف مبلغا وقدره، لقاء بضعة صور على شاطىء بحر ينشرونها فى المجلة. ومع ذلك كانوا يتأخرون فى حسابات دار "أخبار اليوم" فى الصرف. وأذكر أن الأستاذ جمعة عبد الصبور جاء مرة لمعاونتى فى إنهاء إجراءات الصرف، فذكر أمام موظفى الحسابات أننى فلان كاتب القصة بالملحق، فتطلعت عيون الجنس اللطيف ناحيتى، ومعروف أن معظم

مواد الملحق تهم النساء. ولم أكد أهنأ بإحساسي بالنشوى، حتى قال: وهو فى مسيس الحاجة إلى نقود (كنت وقتها مجندا فى الجيش). أراد مساعدتى فدلق دلوا من الماء البارد على وجهى وملابسى. فنظرت إلى الأرض خجلا وانسحبت فى صمت.

وتطرق إلى سمعنا نحن كتاب الملحق أن كثيرا من المشترين يتركونه عند باعة الجرائد، وأنه يباع بالكيلو لأصحاب المطاعم ومحلات البقالة. فحاولنا - دون جدوى - إقناع صلاح حافظ بتدبيس الملحق داخل العدد. ولم نكن ندرى أنه فى اليوم الذى يكون فيه الملحق داخل العدد، سوف نكون نحن فى خارجه. فمنذ انتهاء شخصية الملحق المستقلة، لم أنشر قصة واحدة فى آخر ساعة..!!

أما زميلي فى الجائزة قدرى شعراوى. فهو الكاتب المجهول لأغلب "حكايات" مجلة صباح الخير. وماذا عن باقي قصص مجموعة "كراكيب" عندما نشرت قصة "كراكيب" فى ملحق آخر ساعة، ربت الدكتور رفعت كمال على كتفى وقال: هذه قصة لها طعم خاص. وعندما نظرت إليه مستطلعا قال: ليس هذا رأيى وحدى.

وذات يوم كنت أسير فى شوارع وسط القاهرة. عندما استوقفنى صديقى ابراهيم الشريف وهو من زملائى فى كتابة القصة أيام الواحات الخارجة. وصرفته مشاغل الحياة عن الكتابة. احتضننى فى ود وقال: البنات فى الشغل معى انفعلوا جدا عندما قرأوا قصتك "سكرتيرة ليست حسناء".

وفى الوحدة المجمعة بطناح. حيث كنت أعمل وقت نشر قصة "عامل الإنارة" فى جريدة "الجمهورية" وهى مستوحاة من شخصية موجودة بالفعل بينهم. قال لى العاملون أنهم قرأوا مقالتى (هم لايفرقون بين القصة والمقال)، وشكرونى لأننى أغفلت الأسماء الحقيقية..!!

وكان أكثر ماأعجبهم قراءة بطل القصة "الفاتحة" عند

مروره بضريح شيخ مجهول على طريق سفره. وقد أبدى أصدقاء عديدون نفس الملاحظة.

وذات يوم أخبرنى القاص محمد المنسى قنديل أنهم يتحدثون عني فى مقاهى القاهرة وان السؤال المثار : هل فؤاد فنان أم لا..!!

فاستفسرت منه عن إجابته هو، فابتسم وقال: فنان طبعا. ولقد جادلتهم كثيرا. وسألته عن رأيه فى مجموعة "كراكيب" فقال: بها خمس قصص جيدة. والباقى نصف نصف، أما قصة "صلاة البقال" فهى أقرب إلى نكته، وعندما لحظ امتعاض وجهى، سارع بالقول: ماذا تريد.. ان أى مجموعة قصصية لايمكن أن تكون على مستوى واحد من الجودة.

ومرة ذهبت إلى الأستاذ عبد الله الطوخي بمجلة "صباح الخير" وأعطيته قصة "سوق الحدادين" وقصة أخرى لاأذكر اسمها، فحدد لى موعدا آخر نلتقى فيه لنتناقش. وكنت وقتها مجندا فى الجيش. والخروج صعب دون تصريح. فعبرت الأسلاك الشائكة، ووقعت فى قبضة الشرطة العسكرية. وبدلا من ايداعى سجن الوحدة، طلبوا منى تنظيف الشارع الذى يقع فيه كشكهم. وشرعت فى الكنس، أملا فى إخلاء سبيلى لألحق بموعدى، وبالفعل وصلت إلى دار "روزاليوسف" وقال عبد الله الطوخي: عندك فكرة جيدة عن كتابة القصة. لسنا فى حاجة إلى أى كلام.

واقترح أن أترك القصتين، تحينا لأى فرصة نشر، ونصحنى بعدم القلق، وأن أنساهما. بالفعل نسيتهما، ونسى هو أن ينشرهما..!

كانت قصة "البقاء للأصلع" أول قصة ينشرها لى صلاح حافظ فى آخر ساعة، قبل الملحق. وكنت أسمع المحررين فى المجلة يتحدثون عن صدى موضوع معين، بين رسائل القراء وفى المكالمات التليفونية. وقررت الإسراع إلى العمل.

اتصلت بصديقى الممثل أحمد عقل فى مسرح العرائس وقلت له: مطلوب معجبات ومعجبين بقصتى من بعض ممثلات وممثلى المسرح.

وفى الحال انهالت المكالمات على "آخر ساعة" فهذه زوجة ضابط كبير بالقوات المسلحة وأخرى طبيبة. وهذا رجل أعمال. وعندما ذهبت إلى المنصورة فى إجازة، حررت عدة خطابات للإشادة بقصتى بأسماء مستعارة. وحين عدت إلى مقر آخر ساعة. لم أجد أى صدى لما فعلت. إلى أن فوجئت ذات يوم بسعد كامل يخبرنى بورود خطاب من كركوك بالعراق بخصوص قصة "البقاء للأصلح" وعلى قدر مافرحت على قدر ماحزنت، عندما علمت أن كاتب الرسالة اتهمنى بعدم الاتيان بجديد، وأن نجيب محفوظ سبق له معالجة مثل هذا الموضوع.

سألت سعد كامل: وما رأيك أنت.. هل سترد عليه. فرد بهدوئه المعهود: لاتشغل بالك.. دعه يعتقد مايشاء..!!

ولكى أكتب مشاهد مسرحية "نادرين حبيبة الورد والياسمين" استلزم الأمر إلماما بحرفية مسرح العرائس. فكنت أحضر معهم "التجارب" وأقرأ محاضراتهم المطبوعة. وأتواجد فى الكواليس أثناء لعب المسرحيات. وعندما كتبت النص ذهبت به إلى راجى عنايت مدير المسرح وقتها، فأحالنى إلى أحد المخرجين. وبعد أن قرأ النص طلب تضمين بعض المشاهد حركة أكثر. وجعلنا نتناقش واختلفنا. ولغبائى شكوته إلى راجى عنايت، طالبا أن يكون الحكم بينى وبينه الفن نفسه. وطبعا لم تنته جلساتى مع المخرج إلى شىء، فقد كنت غرا لاأدرى كيف تسير الأمور. ومع ذلك كان المسئولون عن مسرح العرائس يعلنون دوما عن حاجتهم إلى نصوص وأنهم ينتظرون اليوم الذى يولد فيه كاتب خاص بالعرائس.

وعندما صدرت "كراكيب" كان تعليق كمال النجمى فى

المصور أنه عثر على كاتب لمسرح العرائس ونصحنى بالتفرغ لهذا الفن. ولم يتعرض لقصص المجموعة بكلمة.
ولم أكن أدرى هل هو يقرظنى لنشرى لأول نص مصرى للعرائس، أم هو يذمنى بتجاهل قصصى.. وبعد ذلك قرأت عدة مقالات أشادت ببعض قصص المجموعة. ولكن السؤال هو: لماذا كان التجاهل من سادة ندوة البرنامج الثانى.. ومن كثير من الكتاب وقت ظهور المجموعة.
كان الإغراب سائدا وقتها.. وكان تقليد الشيئية عملا بارعا.. دون وضع ظروف المجتمع الذى أنتجها وظروف المجتمع المصرى فى الاعتبار.. وكان عاديا أن يجيبك الأديب بتفاخر أنه أديب فقط.. أو أنه فنان ولا شأن له بشىء.. وكان عاديا أن تسمع من القائمين على مجلة "جاليرى ٦٨" أنهم ليسوا ملتزمين بشىء.. فاهتم البعض بالتشكيل فى حد ذاته.. فليس أحد مسئولا عن شىء.. لقد وقعت الهزيمة ولسنا مسئولين عنها.. والشارع المصرى يعانى ضياعا مرا بعد هزيمة ٦٧ .. ونحن فنانون.. ولا شأن لنا..
فى ظل مناخ كهذا.. عندما تصدر مجموعة "واقعية".. وصاحبها ملتزم.. فهى حماقة ليس بعدها حماقة.
وهاهو كاتب مثل ابراهيم أصلان. لايجد غضاضة فى التصريح بأحد البرامج الإذاعية: لاداعى لأن يفهم أحد شيئا من قصصى، وأيدته ناقدته رضوى عاشور - دكتورة الآن - قائلة فى نفس البرنامج: هذه القصص تقبل كما هى.. دون محاولة للبحث عما تعنيه..!!
وقد أحدث نشر، أغلب مجموعة قصص "كراكيب" فى ملحق آخر ساعة، صدى طيبا بين المحررين والقراء. وفى تلك الأثناء اقترحت على رئيس التحرير عمل تحقيقات عن النساء العاملات، بدلا من الاقتصار على مشاكل نساء الزمالك وجاردن سيتى، فوافقنى وكلفنى بذلك.. وعملت

بعضها عن العاملات فى التليفونات.. وعن الفلاحات فى بعض القرى.
وحين أوشكت، على إنهاء فترة تجنيدى، اقترح محررون من سكرتارية "آخر ساعة" أن أقدم طلبا لأعين فى المجلة وأنضم إليهم لأنهم في حاجة إلى محررين.
كانت الظروف مهيأة للموافقة على طلبى لو قدمته. خالد محيى الدين رئيسا لمجلس إدارة "أخبار اليوم" ورفعت السعيد مديرا لمكتبه. وصلاح حافظ رئيسا لآخر ساعة. لكنى لم أفعل.. كنت أعلم أن الوضع السياسى على كف عفريت. وصدق حسى. بعد قليل نُقل خالد ورفعت السعيد إلى الاتحاد الاشتراكى. ولم يمضى وقت طويل حتى حدثت مذبحة للكتاب اليساريين. فنقلوا من مجلاتهم وجرائدهم للعمل فى جمعيات تعاونية وجمعيات صناعة الأحذية..!!
لكن هذا فى الحقيقة ليس ماحسم اختيارى. لم أكن أريد أن أغرق فى العمل الصحفى. فالصحافة تستهلك الكاتب.. تحقيقات.. وإعادة كتابة للآخرين.. وحضور مناسبات للكتابة عنها.. إلخ. ولقد رأيت فيما بعد كتابا كثيرين بدأوا أدباء، وجرفتهم الصحافة، ولم ينتجوا أدبا ذا قيمة بعد ذلك.
كانت هويتى الأدب.. لذلك.. وخشية أن تحرفنى الصحافة عنه، وعلى عكس مايحدث. فالكاتب الذى يشم نفسه ينزح من إقليمه إلى القاهرة، تركت أنا القاهرة، وقد حققت شيئا من النجاح. وذهبت إلى مدينتى المنصورة، وعملت فى أعمال صغيرة. كنت مفصولا من عملى، بسبب سجنى السابق. ومفصولا من الجامعة (كلية الحقوق)، عملت عامل كيس فى عصارة قصب. وحين صدر قرار بالعفو عن السجناء السياسيين عدت إلى العمل فى الوحدة المجمعة بطناح.
حقا حرمت من التواجد فى الشلل القاهرية، ومن فرص

النشر ، ومن نشر اسمى باستمرار ، ولكنى أفدت كأديب من تواجدى بين الناس فى القاع. ومن القراءة على مهل، والتأمل. ولقد عانيت الأمرين فى النشر ، بعد ذلك. لكن هذا لم يزلزل اعتقادى أن واجبى هو الإبداع فقط، وتجويد ماأبدع، والتماس الوسائل إلى ذلك، من اطلاع، وتأمل، وإصغاء لآراء الآخرين، أما ماعدا ذلك فلا يعنينى فى شىء متى وأين أنشر .. وكم سأحصل على مال (ولداى وزوجتى الآن يلوموننى لأننى لم أسع وراء المال) ، فالبعد عن القاهرة ، لايتيح النشر فى الجرائد والمجلات الأجنبية ، ولايتيح تحويل العمل إلى مسلسلات إذاعية وتليفزيونية .. باختصار يبعدك عن مجال التسويق.. وبالتالى مجال الربح. كنت ومازلت أعتبر أن ذلك ليس مهمتى .. أنا أكتب خير ماأستطيع وأكتب ماأريد .. فإذا نشروا فأهلا بها ونعمت، وإذا لم ينشروا وإذا لم يطلبوا شيئا للإذاعة أو التليفزيون فهذا مُشكِلهم..!

حروف من رصاص

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

ـــ نون النصف ساقطة :
نطقت هذه العبارة، وتصنعت عدم المبالاه. وان كنت من طرف خفى أستشف أثر عبارتى على وجه عبد العظيم خلف ماكينة الطباعة. وفى الحقيقة خشيت أن ينفجر فى وجهى، ولو فعل فلم أكن لألومه. فمنذ ساعتين تقريبا ونحن نصلح معا الصفحات المعدة للطبع. فبعد أن راجعت "التجربه" رجانى أن أساعده فى التصحيح، فاعتذرت بتعبى. ولم أصارحه بخشيتى من الإصابة بالرشح من أنفه. عندما يقترب وجهانا من الصفحة المصفوفة بالحروف. هو ليصلح الخطأ. وأنا لأتأكد من التصحيح. فكثرا مايضع حرفا غير الذى أشرت به. لاسيما اذا كان متعبا أو ليس لديه رغبة لاستئناف العمل.
ألح. فطاوعته خوفا من كسله. فرغم برودة الجو تسمرت على قدمى، وتدلت رقبتى إلى الأمام لأتمكن من رؤية حروف الرصاص. وهو واقف إلى جوارى، ممسكا بالملقط فى انتظار ماأنطق به :
ـــ م أول وألف آخر.
ـــ ى نصف.
ـــ الـ ف التى فى أول الكلمة ليست ف أول.

وهو يتابعنى بأذنيه وملقطه. إلى أن يأتى وقت يرد فيه وقد غامت عيناه:

— ى نصف يعنى إيه..؟!

فأعلم أن مخه تأكسد. فأصيح:

— عبد العظيم..

يجيب بضحكة متأنية:

— نعم ياسى فؤاد..

أزعق فى صبيه:

— قهوة ياولد للأسطى.

يرجونى عبد العظيم:

— خلنا للصبح

— أنا ماصدقت أنك فضيت الماكينة.

كثيرا مامكثت أسبوعا كاملا، محاولا جعله ينزع طوق حروف الرصاص الخاص بعمل آخر. لاستبداله بطوق الحروف الخاص بكتابى. فيعتذر بعدم استطاعته بعد أن ضبط الماكينة على العمل الآخر. وأحيانا يعتذر بأن موعد انجاز هذا العمل قد حل ولابد من الوفاء به.

ويجر الأسبوع فى ذيله أسبوعا ثانيا وثالثا والعمل لم ينته، وطبع كتابى متوقف.

ويحدث أحيانا أن نبدأ العمل ويضبط الماكينة على طبع الصفحات المعدة، ثم يختفى جامع الحروف. ننتهى من طبع الصفحات المصفوفة، ونرسل فى طلب عامل الجمع دون جدوى. فيضطر عبد العظيم للبدء فى عمل آخر، لايحتاج لصف حروف كثيرة، كالاعلانات الصغيرة. أو أكياس اللب والحلبة والقرفة والسحلب. وكلها تعتمد على الكليشهات. وفى الحال تنشق الأرض عن أصحاب محلات العطارة:

— يعوزنا عشرون ألف قرفة.

— حاضر.

يقولها عبد العظيم ببساطة، ولايدرى أن قلبى يكاد يثب من مكانه لتلك الـ "الحاضر" فمعنى هذا أنه لن ينتهى قبل أسبوع على الأقل، وسرعان ماسيلاحقه آخر:

ــ عشرة آلاف كيس ڤانيليا.
ــ حاضر...
وتدور الماكينة. وفي تلك الأثناء أتصل بعامل الجمع، وأمنحه إكرامية خاصة، وأسرف فى الوعد بمزيد من المال فور الإنتهاء من العمل. ورغم ذلك يغطس العامل عدة أيام، وعندما يحضر تدب مشاجرة بينه وبين عبد العظيم، هو يريده أن يكون جاهزاً لطبع مايصفه فى الحال وعبد العظيم يرفض بدعوى أن الحروف كثيرة ليجمع مايشاء، فيتعلل العامل بعدم رغبته فى التوقف، بعد انتهاء الحروف ريثما يطبع ماتم جمعه. لايتفقان على رأى. يغادر العامل المطبعة غاضبا ويتعين علىّ مصالحته، والتوفيق بينهما، لكى يستمر العمل. وتمرضنى محايلته فهو أعلم منى بأزمة عمال الطباعة. بعضهم هاجر إلى العراق للعمل فى مطابعها وبعضهم توظف فى مؤسسات حكومية، يقبضون مرتبات دون عمل يذكر، ويعملون ساعتين مساء فى المطابع الخاصة بالأجر الذي يحددونه وفى اليوم الذى يرغبونه، و آخرون تركوا المهنة. فعم أحمد الذى تعدى الأربعين من عمره، جمع كتبى الأولى فى مطبعة صبحى، يستطيع جمع عشرين صفحة في اليوم الواحد، وكثير من المطابع لاتتحمله، فلا تستطيع أن تقدم له مايريد من عمل وهو يعمل بالقطعة حيث يحقق دخلا أكبر من الأجر اليومى لزملائه. وجدت عم أحمد ينفخ فى بوق ويدفع أمامه عربة "جيلاتى". استنكرت ماأراه.
ــ أنت عارف السبوبة تكسب كم (مشيرا إلى عربة الجيلاتى)
أومأت برأسي، مستحثا اياه على الإجابة.
ــ أصفى منها عدة جنيهات فى خلال ساعتين أو ثلاث، فلماذا تخزيق العينين والصحة لم تعد تساعد.
ثم نفخ فى نفيره ودفع عربته أمامه، وتركنى محلقا فى الفراغ، عاجزا عن الفهم.
ويأتى عامل الجمع بينما يقدم عبد العظيم بطباعة أكياس

القرفة. فأرجو عبد العظيم أن يتفرغ لنا عدة أيام. فيعطينى موعدا لايعجب سيادة عامل الجمع. وبعد مشاورات يوافق الاثنان على موعد. هذا يجمع والآخر يتسلم منه ويطبع على الفور. وأؤجل أى أعمال لى وأحضر فى الموعد المحدد فأجد عبد العظيم غير موجود بالمطبعة، واسمع من ابنه أن سيادة عامل الجمع سافر إلى رأس البر ليرفه عن نفسه يومين على شاطىء البحر. وحرمت أنا أسرتى من الذهاب حتى ننهى طبع الكتاب.. الذى لايعلم أحد متى ينتهى..!!
وعندما يحضر عامل الجمع من المصيف يبادرنى مخرسا احتجاجى:
— ياسيدى.. يعنى أنت وراءك ايه..
ويشرع فى العمل. أربع صفحات سعة الطوق. يطبع عبد العظيم ورقة ويناولها لى لمراجعتها. أريه عدة أخطاء. يقسم أننى لم أنبهه لتداركها. أضطر للاعتراف بغفلتى راجيا اياه اصلاحها. يسحب الطوق من الماكينة. يضرب بأجنة حديدية على سحلية تعشق فى جانب من الطوق، فتحكم من وضع الحروف فلا تسقط أثناء الطبع. بعد اصلاح الخطأ ينذرنى أن هذه أول و آخر مرة ينزع فيها الطوق من الماكينة. فأوافقه. وماأن يرينى أول ورقة طبعها حتى اكتشفت حروفا غير واضحة. أتفرس فى وجهه قليلا، فإذا وجدته مستعدا لسماع ملاحظتى، نطقت بها. وبعد أن يتأفف، ينزع الطوق، ويغير الحروف بأخرى جديدة فلا تظهر فى الطباعة أيضا، فينزع الحروف بالملقط ويطرق جوانبها بقطعة من الحديد، فتتمدد الحروف، وبعد أن انتهى، راجعت الورقة المطبوعة، فقلت وكلى خجل:
— ألف آخر غير ظاهرة...
وعندما آنست استعداده للسماع، تشجعت...
— فقط غير ظاهرة تماما.. و..
وعندما أصل إلى منزلى أجد فى انتظارى معركة أخرى. تتهمنى زوجتى بالإهمال فى حق ولدى. ألتزم الصمت، محاولا العشاء. فيأتينى صوتها: الولدان سيشبان خائبين،

لأنى لا أدرس لهما القراءة والحساب، وهى تهلك فى التدريس طوال النهار وفى عمل البيت، ودماغها مصدع من زعيق الأطفال فى مدرستها. لا أجد كلمات مناسبة للرد، فقد استنفدت طاقتى منذ زمن فى المطبعة. وأتذكر أنه يتعين على تنقية العسل.. ففى الصباح تكون معَائى مرتبكة من دوسنتاريا لعينة، واستريح فى تناول العسل الأبيض فى الإفطار، ويشاركنى طفلاى طعام الإفطار أحيانا. لذلك اشتريت كمية كبيرة منه، تكفينى طوال العام. ولكن النمل الدءوب يشاركنى الطعام ومهما اتخذت من احتياطات أمنية مشددة، كإغلاق الأوعية بإحكام، ووضع بعضها وسط صينية مملوءة بالماء. أغرف ملعقتين من العسل فى طبق، وأظل مايقرب من ساعة، أنتشل النمل بعود ثقاب نملة نملة.. حتى تكل عيناي.. اما هذا.. واما عدم الإفطار.

وأتسلل لأنام، فلا يتركنى صوتها أهنأ برقاد: تنفق النقود فيما لاطائل من ورائه. عندى مخزون من الأكاذيب الجاهزة سرعان ماأخرج بعضها. أزعم أن أصدقائى من الأدباء ساهموا بمبلغ من تكلفة الكتاب. أدعى أن صاحب المطبعة لن يتناول مليما حتى أنتهى من توزيع الكتاب.

وفى الصباح أزوغ من عملى لألحق بعبد العظيم قبل أن يشرع فى عمل آخر. فأجدنى وصلت متأخرا. يضحك وهو يلحظ خيبة أملى، ولاتنى يداه تلصق أكياس تعبئة القرفة والحلبة.

ــ القرفة ورائى دائما..!

ــ هى التى تؤكل عيشا ياسى فؤاد.

ويعدنى بالعمل فى الكتاب بعد ساعة واحدة.. وتمتد الساعة إلى عدة أيام، وأحيانا عدة أسابيع. يخلص من القرفة ويشبك فى دفاتر إيصالات، ينتهى منها، ويعمل فى أكياس اللب والفول وهى لاتنتهى أبدا..!!. وأراه يوما ينظف فى صينية الحبر بماكينة الطباعة فأتفاءل خيرا.. ولكن تفاؤلى لايعمر كثيرا.. فبدلا من وضع حبر أسود يضع حبرا أحمر لطبع أكياس السحلب.

ــ معنى هذا.. أننا لن نبدأ أبدا.

ــ حالا سيدى.. كله ينتهى..!

أصبر على بلواى. فرغم مايسبب من متاعب أهون من غيره، فصبحى مسيحه يزعل جدا إذا قلت له أن بنط عنوان ما غير مناسب. يترك العمل، ويجلس واضعا ساقا على ساق ويقول:

ــ لا تعدل على عملى.

وبعض العمال فى المطابع الأخرى، يعجبون من كثرة التصحيح، ولايجدون غضاضة فى الطبع ببعض الأخطاء. متهمين الأدباء أنهم يحبكونها دون داع. ومهما مونتهم بالسجائر والشاى والقهوة، فلا يطيعون تعليماتك إلا فيما ندر. فقد اعتادوا علي الأعمال التجارية، كالإعلانات والأكياس، فلا أحد يدقق فى مراجعتها. وتطبع بكميات كبيرة، وأجرها مرتفع، بخلاف الكتب التى تستغرق وقتا كبيرا فى طباعتها، وتستلزم رهفا فى التصحيح والتجميع والتجليد، بينما عائدها قليل.

وكانت المطبعة الوحيدة المتخصصة فى طباعة الكتب بالمنصورة هى مطبعة صبحى، ولكن افتتاح جامعة المنصورة وشروع الأساتذة فى طبع مذكراتهم رفع سعر الطباعة، واقتصر صبحى على طبع مذكرات الجامعة، فالأساتذة يدفعون بسخاء، وتوزيعهم مضمون وبالسعر الذى يريدونه، بعكس الكتب الأدبية. فلا نستطيع رفع سعرها، بينما نلاقى الأمرين فى توزيعها.

وبينما يستغرق طبع كتاب فى مطبعة حديثة بالقاهرة أسبوعا على الأكثر، يستغرق هنا عدة أشهر. ويقترب يناير.. موسم الأحداث المؤسفة، وأعيش على أعصابى، خشية أن أحل ضيفا على وزارة الداخلية، فيضيع تعب عدة أشهر، وربما فقدت أصول الكتاب، وأنبه عبد العظيم إلى ضرورة الإسراع، فيومىء برأسه كالعادة، وان كنت أعلم أن مثله لايمكن أن يحس بما أعانيه على الإطلاق.

وبينما أمسك قلبى بيدى، تضرب مطارق الألم رأسى بشدة، ويهاجمنى سوس الأضراس دون رحمة. وأحاول عبثا التوفيق بينه وبين عبد العظيم وطبيب الأسنان.

وبالطبع أنا لاأهوى العذاب فى المطابع الصغيرة، فقبل أن أدفع بكتابى "الأسرى" إلى المطبعة حاولت نشره فى عدة جهات. أرسلته إلى دار الثقافة الجديدة، فأنبأنى الصديق صنع الله ابراهيم أنهم متحمسون لنشره. ولكنه يعتبره كتابا سياسيا فى المقام الأول، وطلب إضافة بعض فقرات إلى الكتاب ولكنى اعترضت، فأنا أديب ولست كاتبا سياسيا، وكل ماطمعت فيه أن أنجز كتابا عن المقاومة المصرية ومقاومة العدو الاسرائيلى رغم الظروف الصعبة.

وحدث ونحن نعد لإصدار جريدة "الحرية" أن التقيت الصديق عبد القادر يس، وكنت قد تعرفت به فى معسكرات الأسرى باسرائيل، وعرضت عليه نشر كتاب الأسرى عن طريق اتحاد كتاب فلسطين. قرأ الكتاب، وكتب تقريرا طيبا عنه، وأرسله إلى بيروت لطباعته. وفى تلك الأثناء، فى أوائل عام ١٩٧٥ تفاقمت الحرب الأهلية اللبنانية. فأيقنت أن طبع الكتاب فى بيروت ميئوس منه. ولم أجد مفرا من طبعه على نفقتى الخاصة. وبينما أراجعه استعدادا للطبع، اكتشفت أخطاءً لغوية كثيرة، وحاولت استرداد النسخة التى فى بيروت دون جدوى، ودفعتني هذه الأخطاء اللغوية إلى التقليب فى معاجم اللغة العربية.وتذكرت والعجب يملؤنى أننا فى المدرسة كنا نواظب على استعمال معاجم اللغة الانجليزية، وكانت المدرسة تسلم لنا معجما. ولم أذكر مرة واحدة أنهم سلموا لنا معجما فى اللغة العربية. أما بعض الأخطاء البسيطة فسببها استغراقى فى معايشة الشخصيات أثناء المراجعة.

وعندما كنت فى الزقازيق عام ١٩٦٩ أثناء انعقاد المؤتمر الأول والأخير للأدباء الشبان، التقيت أناتولى أجاريشف مراسل صحيفة البرافدا كومسمولكايا جريدة "الشباب" بالقاهرة، وطرق الحديث حرب يونيو ٦٧، وماكتبته عن الأسر، فطلب نسخة من الكتاب لقراءتها. وعلمت فيما بعد أنه ترجم بعض فصوله وأرسلها إلى جريدته ونشرتها. وعندما رأى الخطابات التى كنت أرسلها من الأسر، استأذن

فى ارسال بعضها إلى متحف جريدته بموسكو، وهو خاص بآثار الاعتداءات الامبريالية على الشعوب. وصورت الرسائل التى طلبها، واحتفظت بصورها، لعل أحدا يتذكرها ذات يوم.

وعندما شرعنا فى عمل غلاف "الأسرى" أرسلت بطاقة بريدية من التى كنت أرسلها لزوجتى من الأسر، لعمل كليشيه لها مرجحا أن يكون مناسبا على الغلاف، ولكن صانع الزنكغراف لفت نظره خاتم بريد اسرائيل، فذهب بالبطاقة إلى مباحث أمن الدولة. فطلبوا منه إحضار صاحب الكليشيه. طمأنت عبد العظيم أن الأمر عادى جدا، وأن هذه البطاقات البريدية معروفة جيدا لدى الأمن. ولما كنت لاأريد تعطيلا آخر فقد قررت الاستغناء عن هذا "الكليشيه".

وظننت بذلك أننى قهرت آخر عقبة تحول دون ظهور الكتاب، وإذا بعبد العظيم يغمز لى بعينيه ويفرك إصبعين من يده..

ـــ حاضر.

أشار إلى الحائط خلفه. فحسابى مدون بمسمار على البياض، وكلما دفعت مبلغا عدل الرقم خلفه.

قلت ضاحكا:

ـــ ألن تبيض المحل..؟!

الملك لير

◎ ◎ ◎ ◎

كنت فى القاهرة عندما علمت
أن تحفة شكسبير "الملك لير"
ستعرض فى المساء بجمعية
السينما. على الباب، استوقفنى
رجل: للأعضاء فقط.

استعنت بالصبر. وجدت صديقا من الأرياف. وليس عضوا. ذهبنا لرجل الباب.

— اسمع ياسيد.. نحن لسنا من هنا.. ولايمكن أن تفوتنا تحفة شكسبير.

ابتسم الرجل وقال:

— آسف الكراسى محدودة.

— دعنا ندخل.. ولنا تصرف فى الداخل.

لم يجد الرجل فائدة من مجادلتنا. أمهلنا بعض الوقت. وقبل بدء العرض سمح لنا. فى الداخل فوجئت بالأستاذ حسن فؤاد. قال كالمعتذر:

— على فكرة.. عملنا صفحة فى "صباح الخير" عن كتاب أحمد حجى.

بعد موت أحمد حجى، جمعنا بعض مقالات له ووضعناها بين دفتى كتاب بإسم "الكلمات والبارود". على أمل أن نطبع باقى كتبه، خاصة كتابه "يوميات جندى فى الجبهة". وهو تسجيل ليوميات جندى مصرى إبان حرب الاستنزاف. ورغم استعدادى واستعداد أصدقاء أحمد

للمساهمة فى طبع الكتاب، إلا أن محمد حجى اعترض زاعما أنه سينشره فى طبعة لائقة. وأنا أعتقد أن أعدى أعداء أحمد حجى هو شقيقه الرسام محمد حجى. فيكفى أن تعلم أن كل ماقدمه من أجل طبع كتاب "الكلمات والبارود" هو إعلانه عن سعادته لأن الكتاب تم دون مساهمة منه..!!

ومنذ عام ١٩٧٢ وحتى الآن وهو يحاول طبع "اليوميات" فى بيروت، بعد أن فشل فى طبعه فى روز اليوسف. وسافر شرقا وغربا.. لا هو طبع الكتاب.. ولا هو تركنا نطبعه، محتفظا بأصوله عنده.

والآن.. ترى.. مالذى جعل حسن فؤاد يحدثنى كالمعتذر. لماذا شعر بالإحساس بالذنب..؟! فى الحقيقة هو لم يفعل شيئا. والذى كتب عن أحمد حجى وكتابه هو الأستاذ علاء الديب بمبادرة خاصة منه. ولكن حسن فؤاد يحس بالتقصير. لأنه طوال رئاسته لتحرير مجلة "صباح الخير" لم يفعل شيئا لأحد من التقدميين. طبعا يذكر له نشر رواية "الشمندورة" لمحد خليل قاسم. ولكنه نشرها بعد أن دوخه "السبعة الدوخات التى فى الدنيا". ولقد قابلت قاسم رحمه الله وقتها، وكاد يبكى للتسويف فى نشر روايته دون مبرر معقول. وكان فى أمس الحاجة للمال.

ذات يوم ذهبت إلى حسن فؤاد. والتقيت هناك الصديق الرسام شمس السلاب. وكان معى قصتين أملت فى نشرهما. لم يسمح لنا الساعى بدخول حجرة مكتبه. انتظرنا فى حجرة أخرى. وبعد قليل حضر حسن فؤاد. وطلب لكل منا ليمونا دون أن نطلب. وسأل كلا منا عن حاجته. ولما علم مقصدى، طلب منى أن أعطى القصتين لعلاء الديب ليرى فيهما رأيا.

وبعد انتهاء المقابلة نزلت من دار "روز اليوسف" مع شمس.

ولسانى يلهج بالشكر لأريحية "أبو على" وتواضعه.
فنظر إلى "أبو الشموس" وقال:
ـــ ماهذا ياأحمق.. عن أى كرم تتحدث.. "طزْقنا ياعبيط".
وبدأت الحقيقة تتضح أمام عينى. فأنا أحيانا والحق يقال لاأعرف بالضبط إذا كنت عوملت معاملة حسنة أم سيئة. فلقاء كالسابق لاأتيقن من كنهه جيدا إلا بعد فترة.
بانت الحقيقة سافرة. ولم أسع للقائه بعدها. وبالطبع لم أرسل قصصا لعلاء الديب، بل لم أقابله إلا بعد أن طبعت كتبى على نفقتى الخاصة.
وعندما يرى المرء اخواننا اليمينين ومايفعلونه لأشباه الأدباء، ومحاولاتهم اللامجدية النفخ فى قربهم المقطوعة.. يمصمص بشفتيه عجبا.
وفى النهاية استغنوا عن خدمات حسن فؤاد فهو ليس يمينيا حتى يطمئنوا اليه. وهو - من وجهة نظرهم - عنده ميول يسارية فلا يؤمن جانبه. ولم يشفع له أنه لم يخدم أحدا.

المصافحة المميتــة

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

فى المساء، بعد المؤتمر المنعقد فى ديسمبر ١٩٧٢، بديوان محافظة الدقهلية، دعى المحافظ المؤتمرين إلى عشاء فى مقهى منيرفا. اعتذرت عن الذهاب، فلست من هواة حضور هذه المناسبات. ولكن أصدقائى أصروا على حضورى لنواصل الحوار. وقبل العشاء أقبل المحافظ لمصافحة ضيوفه. وما أن استقرت يدى فى يده حتى أحسست بقشعريرة، وكادت الأرض تميد تحت قدمى، وأنا أتلقى نظرته الرهيبة من خلف نظارته الطبية السميكة. وعندما صدرت "روز اليوسف" وبها كاريكاتير لى بين المحافظ وسعد وهبه، وكاتب المقال يقول: ان أقوى الاتجاهات التى عبرت عن نفسها فى المؤتمر اتجاه مجموعة من كتاب وشعراء يصدرون سلسلة "أدب الجماهير". تأكد لدى الإحساس بأنى من الهالكين. وبالفعل.. لم يمض أسبوع واحد، إلا وكنت مشرفا فى سجن القلعة. وتهمتى الوحيدة، والتى لم يجرؤ أحد على مواجهتى بها، هى أننى ذكرت الحقيقة.

قبل المؤتمر بساعات، قرأت بيانا للجنة الأدباء بالاتحاد الاشتراكى، واستفزنى نفاق أعضاء اللجنة للسيد محافظ الدقهلية. وكلنا نعلم أن مؤتمرات كثيرة عقدت، وحضر

صحفيون وكتاب، وصوروا ونشروا كلاما كثيرا. وبقيت أزمة نشر وتوزيع الكتاب الأدبى دون حل.
ولقد آمنت أن السلطة لن تحل الأزمةز وأن حلها فى أيدى الأباء أنفسهم. عليهم بالتكاتف لجمع المال، وتكوين الجمعيات، لنشر وتوزيع أعمالهم.
وكنت أعلم أن المحافظ لايتورع عن استعمال ألفاظ خشنة مع محدثه، ويتبع أساليب غير لائقة. لذلك قررت أن أتغدى به قبل أن يتعشى بى. ولقد تغديت به فعلا، ولكنه تعشى بى أيضا.. وعلى مهل.. على مدى أربعة شهور.. قضيتها فى سجن القلعة، ومعى الشاعر زكى عمر.
بدأ المؤتمر فى حضور ممثلى أجهزة الإعلام، وصحفيين وكتاب من القاهرة. وعندما سمحوا لى بالكلام، قلت: ليس هذا أول مؤتمر من نوعه، ولن يكون الأخير. كلام كثير، وتوصيات جميلة، لايتحقق منها شىء على الاطلاق. يقولون – مشيرا إلى بيان لجنة أدباء الاتحاد الإشتراكى – أن السيد المحافظ سوف يفعل كذا وكذا وأن النشاط الأدبى رهن بوجود سيادته وأنا أقول أن الأدباء موجودون قبل وجود السيد المحافظ، وسوف يظلون بعد ذهابه. نحن نود أن نعرف ماذا سيفعل سيادته بالضبط..؟!
لانريد كلاما عاما. أولا.. لاأعتقد أن المحافظة ستفعل شيئا فى مشكلة النشر. ثانيا.. نحن نطبع فعلا.. فهل المحافظة على استعداد لتوزيع نسخ على مكتبات المجالس القروية ومجالس المدن..؟!
الواقع يقول غير ذلك. ثم هاجمت مجلة "المنصورة" لنشرها تحقيقات صحفية تافهة. واستشهدت بتحقيق عن الحياة الخاصة لفلان الموسيقار (وكان وقتها رئيسا لمجلس مدينة) وقام الرجل منسحبا. واحتدم النقاش، واحتد زكى عمر، وقمت وهدأت ثائرته.

ولكن السهم كان قد نفذ..
والمهم أن شيئا من توصيات المؤتمر لم ير النور حتى كتابة هذه السطور.
توصية بإنشاء مطبعة.. أين هى..؟!
توصية بعمل كتاب أدبى دورى.. أين هو..؟!
توصية بإنشاء شركة تعاونية للنشر.. أين هى..؟!
وتوصية للثقافة الجماهيرية باقتناء عدد من النسخ من كل كتاب لمكتبات قصور الثقافة. لم أكذب الخبر. وذهبت للإدارة العامة للثقافة الجماهيرية بالقاهرة، وعرضت عليهم عدة نسخ من مطبوعات "أدب الجماهير" فوعدوا بدراستها. عدت لهم مرة ثانية فقالوا: نوافق على شراء بعض النسخ من كتاب كذا والمذكرة فى العرض عدت مرة رابعة فقالوا: لاتوجد ميزانية..!!
هذه إحدى التوصيات.. وهذه طريقة تنفيذها.. ناهيك عما تكبدته من تعب ونفقات فى الانتقال بين المنصورة والقاهرة عدة مرات.
أما مجلة المنصورة فظلت كما هى أحادية الاتجاه. يرفض القائمون على أمرها فى اباء وشمم الارتفاع بمستواها، إلى أن توقفت عن الصدور.
أما عن محافظنا فقد أصبح عضوا فى مجلس الشعب، ورأس إحدى لجانه الهامة. ولقد بدأت مواهبه فى الظهور أثناء دراسته فى الجامعة، حيث أدى بعض الخدمات للأمن، وأوفدوه بعد ذلك لتأدية نفس الخدمات مع الطلبة المصريين الذين يدرسون بأمريكا. فوجدها فرصة وحصل على الدكتوراه. وعند عودته كوفىء بعدة مناصب، ثم محافظا للدقهلية.

روز اليوسف العدد ٢٣٢٣ فى ١٩٧٢/١٢/١١ .

قضية الثقافة فى الأقاليم

كما طرحها مؤتمر

● استجابة للمبادرة الواعية والمسئولة ، لكل من محافظة الدقهلية ، وجهاز الثقافة الجماهيرية ، عقد مساء الاحد

ولكل من الاتجاهات الثلاثة فى النهاية شكل واحد ، هو توصيل ما يكتبونه الى الناس ، والتعرف على قيمة المساهمة التى يقدمونها من ناحيتهما الفنية، وضمان استمرار وجودهم الادبى وعدم ربط ازدهار الحياة الثقافية بوجود اشخاص من المسئولين . والواقع ان هذه المشكلة هى مفتاح مشكلة الثقافة فى الاقاليم اذ اتضح من كلام المحافظ الدكتور محمد دكرورى انه ليس هناك فى ميزانية المحافظة ما يسمى بند للثقافة .

وبعد احتدام المناقشات ، والمطالبة باحترام الثقافة لا فى الدقهلية فقط بل فى كل اقليم، وبعد المطالبة بجعل هذه الندوة دليل عمل ومقدمة المؤتمرات اخرى فى كل محافظة

أدباء الدقهلية

الماضي . مؤتمر ثقافي له دلالة على ازمة الوضع الثقافي والادبي في بلدنا، وايضا يعطي الامل في مواهب شعبنا .

كانت البداية . والهدف ، مناقشة قضية الثقافة والادب في المنصورة والاقاليم ، ولكنه تحول وخلال الخمس ساعات المنتهية بالنقاش ، الى صورة حية للمشكلات المطروحة للادباء في كل اقليم وفي القاهرة نفسها ، لانه ما يعاني منه ادباء القاهرة على مستوى قضايا الفكر ، والنشر هو نفسه ما يوجد بشكل او بآخر في كل اقليم . صحيح ان الحركة الادبية في الدقهلية لها من الحجم والتاريخ ، والفاعلية مايجعلها في طليعة حركة ادباء الاقاليم وهي التي فرضت هذا المؤتمر وجذبت اليه انتباه نقاد وكتاب وصحفيين من كل الاتجاهات حضروا هذه الامسية ، ولكن الظاهرة البارزة هي حضور عدد من الكتاب الجدد الشبان نتيجة التزام واع . لمشكلات الثقافة في بلادنا .

وبعد ان طرح المحافظ ، تساؤلاته ، عن صيغة مناسبة لوحدة العمل الادبي في الدقهلية . ومشكلات التعريف بالمواهب ونشر اعمالها ، اعقبه (سعد الدين وهبة) مقترحا ، بعض الحلول ، تقوم على تعاون الجهاز التنفيذي ، والاتحاد الاشتراكي وقصر الثقافة ، لتجميع الجمعيات الاهلية المتقاربة الاتجاهات وتمثيلها في مجلة المنصورة التي تصدر شهريا ، وطبع الاعمال الجيدة بعد تقييمها ، وذلك بانشاء جمعية تساهم فيها المحافظة بالتمويل .

بعد ذلك بدأت مناقشة ، صريحة ، في جو ديمقراطي نقي اعطى الفرصة لثلاثة اتجاهات للتعبير عن نفسها ، وكان اولها اتجاه مجموعة من كتاب وشعراء ، سبق ان اصدروا سلسلة ادب الجماهير ، ومنهم فؤاد حجازي ، وعبد الفتاح عبد الرحمن الجمل ومحمد يوسف، وابراهيم رضوان .

والجاه لجنة الادباء الشبان بالاتحاد الاشتراكي وممن يمثلونه عماد الدين عيسى واتجاه ثالث للجنة الثقافية لكلية الطب ، وهم طلبة على مستوى رائع من فهم الوضع الاجتماعي ومشكلات الحياة في المنصورة ويربطون بين مشكلات الادب والفكر وبين مصر ككل .

اعلن المحافظ اقتناعه بكل التوصيات التي يرى الاعضاء طرحها . وقام سعد الدين وهبة بصياغتها في شكل محدد ، وهو ان الثقافة في الدقهلية جزء من الثقافة في مصر ، ولابد من اتاحة الفرصة لجيل جديد ، ودماء جديدة للتعبير عن نفسها واحلامها .

ولقد كانت الوعود ، التي تمت من المحافظ كثيرة ، منها :

١ ـ تغيير طابع مجلة المنصورة لتعبر عن كل الاتجاهات .

٣ ـ اقامة مسابقات ادبية وجوائز سنوية .

٤ ـ دعم المسرح الاقليمي .

٥ ـ وضع خطة مشتركة مع الثقافة الجماهيرية لتشكيل فرقة للفنون الشعبية ، ونادي للسينما . ■

عبد الرحمن أبو عوف



أمر بالقبض على شخصيات كتاب

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

قال وكيل النيابة:
ـــ أنت متهم بالترويج للمبادىء الشيوعية، ومتهم بالعمل ضد النظام. فقد ورد فى صفحة ٦١ من كتابك "سجناء لكل العصور" عبارة (تسقط قوانين الاستفتاء الرجعية).
ـــ لست أنا الذى قلت ذلك.. ولكن إحدى شخصيات الكتاب.
ـــ ألست مؤلف الكتاب..؟!
ـــ نعم.
ـــ جاء فى صفحة ١٣ من نفس الكتاب عبارة (عبد الناصر فارقنا حيا وميتا) فماذا تعنى بذلك..؟
ـــ اسأل من قالها..
ـــ هأنذا أسألك..
ـــ بطل احدى القصص هو الذى قالها فاسأله.
ـــ ألست أنت مؤلف القصص..؟!
ـــ نعم.. ولكن شخصياتى حرة تنطق بما تريد.
ضحك المحقق، ومالت رأسه إلى الخلف، ثم اعتدل ونظر إلىّ بتمعن. ويبدو أن "الحكاية" قد أعجبته، فقال:
ـــ ألست شيوعيا..؟!
ـــ ومادخل هذا بالقصص..

ـــ لأن شخصياتك من الشيوعيين ..
ـــ هذا لايعنى شيئا .. أنا قصاص .. ومن المحتمل أن أكتب عن شخصيات داعرة أو منحلة ..
ـــ ولكنك شيوعى بالفعل ..
ولوح بتقرير مباحث أمن الدولة .
قلت :
ـــ لادخل لعقيدتى بالموضوع .. فشخصياتى تتصرف كما يحلو لها .
قهقه – على غير عادة المحققين – وقال :
ـــ يعنى .. أصدر أمرا بالقبض على شخصيات الكتاب .. ؟!
فضحكت أنا الآخر ، وقلت :
ـــ هذا شأنك .. !!
وعدنا لاستئناف التحقيق .
دق جرس التليفون . وعلمت من كلماته وسط الحديث ، أن رئيس النيابة . يتابع التحقيق .
ـــ لماذا طبعت دون اذن من الرقابة .. ؟!
ـــ الرقابة ألغيت .
وناولته نص تصريح السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٢ / ١٢ / ٧٦
ـــ هذه القصاصة لاتثبت شيئا .
ـــ أتظن أنى سأطبع "أهراما" خاصا .. ؟!
واستمر التحقيق إلى مابعد منتصف الليل . وبعده أجرى اتصالا تليفونيا مع رئيس نيابة أمن الدولة العليا .. وكان الطرف الآخر يزعق .. ووصلنى صوته حادا من السماعة "قانون مطبوعات إيه .. عندك المادة ١٩٨أ ، ب من قانون العقوبات .. وجه له قلب نظام حكم" . نظر إلىّ المحقق ، وقلب فى الورق وأصدر قراره بحبسى أربعة أيام على ذمة التحقيق .
وبينما يلم أوراقه ، حانت منه التفاتة نحوى ، فوجدنى متبرما .
ـــ لم يعجبك القرار .. !!

ــ دعنا نتكلم صراحة . بعد أن أُقفل محضر التحقيق .. لقد ظلمتنى .
ــ صدقنى لم يكن باستطاعتى أن أفعل شيئا .. وسوف تعرف فيما بعد أنى لم أظلمك . منذ ساعات قليلة تم حبس أستاذ جامعي حبسا مطلقا لسبب بسيط .
ــ أنت تعرف أنه لاتوجد جريمة .. فالرقابة ملغاة . ولقد استخدمت حقى فى أن اقول ماأريد دون خدش حياء أحد . ودون مخالفة لقانون .
ــ صدقنى .. لم أظلمك .
ــ كنت تستطيع الإفراج عنى بضمان محل اقامتى وهو معلوم لجهات الأمن . كما كان باستطاعتك الإفراج عنى بضمان عملى . فليس معقولا أن أتركه . وفى أصعب الأحوال كان يمكن الافراج عنى بضمان مالى .
ــ سوف تقدر موقفى فيما بعد .
ــ علمت من نقاشك معى أنك ناصرى . فقد ضايقتك عبارة (عبد الناصر قارفنا حيا وميتا) .
ــ لاأنكر أننى أحب عبد الناصر .. ولكنى لم أظلمك .
وفى محاولة لإنهاء الحديث :
ــ على أية حال يمكنك التظلم من قرار الحبس .
ــ حتى يبت فى التظلم . تكون الأيام الأربعة قد مرت .
ــ تظلم غدا .. بلغ محاميك ..
وأمر بالعرض على النيابة غدا . مكثت فى السجن عدة ساعات . واصطحبنى حارس إلى النيابة .
وصلنا مبكرا . لم يكن أحد قد حضر بعد . طلبت من الحارس أن أذهب إلى البوفيه القريب . فوافقنى . طمعا فى إكرامية .
ولحظى كان مكتب أحمد فرج . قريبا منا .. وأحمد فرج رغم أنه من مدينتى . فلم أعرفه إلا فى سجن الواحات الخارجة . وكانت سيرته عطرة . كانوا وقتها يعذبون الشيوعيين .. يسوقونهم حفاة إلى الجبل حيث الشوك والعقارب .. يجعلونهم يفحرون .. وينقلون الرمال والصخور من مكان إلى آخر .. وحدث أن أراد المأمور إذلال أحمد فرج .. فأمر بفلكة .

وقيدوا قدميه، وانهالوا عليه ضربا.. والمأمور فى انتظار كلمة ضعف من أحمد.. دون جدوى.. يأمر باستمرار الضرب. ويطلب منه أن يقول "أنا امرأة".. وهذا يتحمل فى إباء ولاينطق.. وحين أوشك على الموت.. أوقف المأمور الضرب، وهو يكاد ينفجر من الغيظ.. وظل أحمد يُعالج من جراحه عدة شهور بعدها.

ولحظى أيضا وجدته فى المكتب، مع أن المحامين نادرا مايتوجهون إلى مكاتبهم فى الصباح، عادة يذهبون إلى المحاكم من بيوتهم مباشرة.

فوجىء الرجل بى. قلت:

ـــ أنا مقبوض علىّ

أغرق فى الضحك، وأخذ يتأملنى من فوق لتحت. رفع ناظريه وقال مستفهما:

ـــ نعم..؟!

ـــ صدقنى.

وشرحت له الأمر باختصار.

علت وجهه سيماء الجد. وقال:

ـــ سأوافيك فى النيابة بالتظلم حالاً.

غادرته مسرعا. كان مبنى محافظة الدقهلية قريبا. وفى دورها الخامس، مديرية الشئون الاجتماعية. التى يعمل بها محمود الهندى وقتها. كلمته بسرعة، وهو لايستوعب الموقف. وحين استوعب، طلبت منه أن يذهب إلى بيته بسرعة ليتلف أى أصول لـ "سجناء لكل العصور"، حيث كان يقوم برسمه وتهيئته للطباعة. فربما فتشوا بيته وأدخلوه معى فى القضية.

وصلت سراى النيابة. ووجدت الدنيا مقلوبة كما توقعت. حضر رجال أمن الدولة. ولم يجدوا لى أثرا. ضحكت. ولكنهم كتموا غيظهم. وبخوا الحارس أمامى. وإن كانت نظراتهم ووجوههم تفضحهم، بما سوف يفعلونه بعد ذلك.

لم توافق النيابة على التظلم. وأيدت قرار الحبس أربعة أيام والعرض.
وبعد أربعة أيام قضيتها فى سجن المنصورة العمومى. عرضت على قاضى المعارضات وماأن رآنى حتى قال للمحامى:
— من هذا ياأحمد يافرج. شيوعى مثلك.. ابعده عنى اليوم. غدا الاستفتاء.. (كان السادات قد أصدر عدة قوانين استثنائية. تضيق على الحريات وعلى المواطنين. ويريد استفتاء المواطنين عليها).. وتشاور معى المحامى لتأجيل نظر المعارضة فى أمر الحبس يومين فوافقت. وحين عقدت الجلسة. ترافع أحمد فراج قائلا: قانون المطبوعات وهو بالمناسبة صدر أيام الحماية البريطانية على مصر عام ١٩١٤ لاينص على الحبس. لأى مخالفة فى المطبوع. وإذا أرادت جهة الإدارة مصادرة المطبوع، فلابد من صدور حكم بذلك من رئيس محكمة مصر بباب الخلق فى القاهرة. وفى جميع الحالات. لايجيز القانون إلا الحكم بغرامة مالية. حتى لو تكررت المخالفة. فلماذا تحبسون المتهم..؟!. أفرج عنى القاضى بكفالة ثلاثين جنيها. ومازالت القضية معلقة..!!
كان ينتظرنى فى إحدى ردهات المحكمة. شقيقى عادل والقاص محمد المخزنجى وبعض الأصدقاء. سرعان ماجمعوا الكفالة. وأودعوها خزينة المحكمة. وحين رأى مأمور السجن الإيصال وقرار القاضى، أرسلنى مع نفس الحارس إلى قسم شرطة أول. للإفراج عنى منه. ولكن القسم فيما يبدو. كان فى انتظار أحد من أمن الدولة. ليتسلمنى. ويتم اجراءات الإفراج من عندهم.
ظللت حتى المساء. ولعبت الأفكار بى. هل تلاعبت المباحث بأمر الافراج..؟!.. هل أصدروا قرارا باعتقالى..؟! فجأة. فتحوا باب الحجز. وكنت فيه منفردا. بعد أن أخلوه من باقى المحتجزين. واصطحبنى مخبر إلى مبنى مباحث أمن الدولة. وجدت زوجتى فى انتظارى. وأخبرتنى. أنهم

كانوا يسوفون، ولكنها كيلت لهم، حتى أرسلوا فى إحضارى.

وشكا لى الضابط المختص بمكافحة الشيوعيين، أنها زعقت لهم، وقالت أن مصيرهم السجن مثلما حدث لشعراوى جمعة وزيرالداخلية السابق وبعض رجاله، لم أجد ماأرد به، سوى الابتسام. ولكن ابتسامتى هذه لم تعجب، أحد مرءوسى هذا الضابط، فقال:

ـــ أنت لايهمك أحد (يقصد من جهازهم) .. وتفعل ماتريد.

اقشعر جسدي، وتساءلت فى نفسى.. ترى.. ماعساهم يدبرون لى..؟! لم أعلق، فقد كنت أحس بغضبهم.. للإفراج عنى بسرعة. أضف إلى ذلك مايحسون به من ضيق من مقدمة الكتاب. تلك المقدمة التى لم تعجب إخواننا اليساريين. والتى تحدثت فيها عن ذكرياتى قبل إلغاء الرقابة. ومتمنيا عدم عودتها. ومحاولا فرض "أمر واقع". فإذا كان الكتاب لايصدقون أن الرقابة ألغيت. فلابد من ممارسة "الإلغاء" فعلا. وإلا سيظل القرار حبرا على ورق. ونشر مثل هذا الكلام يقطع الطريق على بعض الجهات التى مازالت متمسكة بالرقابة رغم الغائها. ومن عجب أن اليساريين لم يفهموا الرسالة.. وفهمها رجال أمن الدولة..!!

وبالطبع لم يمر الأمر بسلام، استدعى صاحب مطبعة "أورفو" التى طبعت الكتاب إلى الشرطة، وكتب تعهدا بعدم طبع أى كتاب لى مستقبلا إلا بعد العرض عليهم. وتم التنبيه على أصحاب المطابع الأخرى بذلك. وقبل طبع "سجناء لكل العصور" تصفح صاحب المطبعة الكتاب، وطلب إذنا بالطبع. وعبثا أحاول اقناعه أن الرقابة ألغيت.. وأحضرت له مجلات وجرائد نشرت خبر الالغاء دون جدوى. وازاء عناده، اصطحبت الرسام محمود الهندى وتوجهنا إلى ضابط أمن الدولة. قلت:

ـــ الرقابة ملغاة، ولى كتاب فى المطبعة، يرفضون الاستمرار فى طبعه.

وحاول الضابط الحصول على أصل الكتاب، فتعللت أنهم

يقومون بالطبع الآن ولايمكنني احضاره، وبالطبع ستصله عدة نسخ من المطبعة بعد الطبع. فرفع سماعة التليفون على مضض وأمر صاحب المطبعة بالعمل..!!
وبعد الافراج عني بعدة أيام نشروا خبرا عن القضية فى الأهرام بتاريخ ١٩٨٧٨/٥/٣١ . يقصدون توجيه رسالة إلى الكتاب، لالتزام الحذر ، وعدم تصديق "الغاء الرقابة ".
ولم يخلو نشر الخبر من فائدة. فلقد طيرته وكالة الأنباء الفرنسية إلى كافة أنحاء العالم، وجعلت الصحف والمجلات المختلفة فى البلاد العربية تكتب عن المؤلف وعن قضية "سجناء لكل العصور ". ونشرت مجلة "صوت الخليج" الكتاب مسلسلا .
ولم يمض وقت طويل، حتى سارع الجميع إلى النشر دون رقابة، متبعين طريقتنا في طبع الكتاب.
فعند طبع "سجناء" اقترح الرسام محمود الهندى نسخ الكتاب على الآلة الكاتبة وتصويره، ثم طبعه أوفست، توفيرا للوقت والجهد. وصارحته بخشيتى من عدم تقبل القارىء لشكل الطباعة الجديدة، لتعوده على حروف المطبعة. فطمأنني وقام بنسخ بعض القصص على الآلة الكاتبة وكتب بعضها بيده.
ـ أبا الهنود.. لو نجحت طريقتنا.. سوف يتبعنا آخرون.
فالكتاب الذى يستغرق طبعه عدة شهور فى مطبعة عادية، يمكن طبعه فى يوم واحد.. وأى رقابة تلك التى تلحق بك..؟! وعملت ببيليوجرافيا بأعمالى فى آخر الكتاب. ولم يحذو حذوى أحد حتى الآن..!!
وتم طبع الكتاب وتوزيعه فى عام ١٩٧٧ . وفى منتصف عام ١٩٧٨ صدرت بعض كتيبات فى القاهرة على استحياء، مستخدمة نفس طريقتنا فى الطباعة. وفى عام ١٩٧٩ انتشرت المطبوعات. وفوجئت بحديث لنجيب محفوظ فى جريدة الأخبار ، يثنى على الطريقة الجديدة فى الطباعة، التى ساعدت على أزمة النشر بالنسبة للأدباء الشبان. ونسب الفضل للناشرين الجدد. فكتبت اليه معاتبا ومذكرا

بتاريخ طباعتنا وبقضيتنا، ومشفعا ذلك بنسخة من "سجناء " . [illegible] نه التزم الصمت.
وبعد الإفراج عني، كتبت لاتحاد الأدباء ولعديد من الكتاب والصحفيين، شارحا قضية "سجناء لكل العصور" وظننت أن الجميع سيجزعون لأن حرية التعبير في خطر، إذا تغدوا اليوم بيساري، فسوف يتعشون غدا بليبرالي .. وهكذا ..
ولكن للأسف، لم تهتم أي جهة. وكنت أعتقد أن مجرد نشر خبر القضية في الأهرام، سيقيم الدنيا ويقعدها شأن أي بلد .. متحضر ..!!
أما الكتاب نفسه كعمل أدبي، فلم يحظ بأي اهتمام من النقاد والكتاب في الصحف والمجلات المصرية، بل أن بعض الكتاب الذين تعودوا الكتابة عن أعمالي قد التزموا الصمت ليس تجاه هذا الكتاب فقط .. بل تجاه كتب أخرى صدرت بعده، وبالطبع أستطيع أن أفهم السبب .. فأغلبهم عندهم عروق ناصرية . وأنا انتقدت ناصراً في "سجناء"
وفي انتخابات تجديد نصف أعضاء اتحاد الكتاب، عاتبت فتحي سلامة لعدم اهتمامهم في الإتحاد بالأمر. فأخبرني أنه ذهب مع نائب رئيس الاتحاد للقاء ممدوح سالم رئيس الوزراء وقتها. واعتذر الرجل عن عمل شيء لأنني أهاجم النظام. ولست أدري .. هل هذه القصة حقيقية .. أم قالها فتحي سلامة طمعا في كسب صوتي في الانتخابات ..!!
وذات مرة أخبرني أحد المخبرين، أنهم أعطوه كتابي "سجناء لكل العصور" ليقرأه حتى يكون ملما بـ "أساليبنا".
فقلت في نفسي: حسنا .. حلمت يوما أن تتقرر كتبي على طلبة المدارس، فتقررت على رجال الداخلية. وأقنعت نفسي أنني أفضل من الكتاب الكبار الذين يدرس التلاميذ مؤلفاتهم الأدبية. فوزارة الداخلية أهم من وزارة التربية والتعليم.

الرسائل

◎ ◎ ◎ ◎

ماأن تصلنى رسالة ما، حتى
أسارع إلى قراءتها وتمزيقها.
وبعضها أتمزق معه. وأود لو
أحتفظ به. تذكرة لكلمات
عزيزة، أو حفظا لآراء قيلت
عن أعمالى.
وكنت ومازلت أنصح أصدقائى بتمزيق رسائلى.
وكثيرا ماذيلتها بملحوظة ترجو من قارئها
حرقها. وعندما ألتقى أحدهم أتأكد من إعدامه
لرسائلى.
ففى عام ١٩٥٦ ألقى القبض على لأول مرة. كنت دون
العشرين بقليل. أعتز برسائل أصدقائى وأدون يومياتى.
فجأة وجدت دخيلة نفسى معروضة لآخرين.. ويجرى
بشأنها تحقيق. ومطلوب منى تفسير لكل خاطرة وواردة.
وكنت أحتفظ برسائل لأصدقاء لاشأن لهم بمعتقداتى.
بعضهم كنت أمزح معه بتبادل رسائل نخلع فيها على أنفسنا
ألقاب النبلاء، تأثرا بالروايات التى كنا نقرأها فى ذلك
الوقت. وتصور وكيل النيابة "بذكائه الحاد" أننا نتنادى
بألقاب نحلم بها إذا وصلنا إلى الحكم..!!
وراح يعصرنى بأسئلته. وعبثا أحاول إقناعه أن الأمر لايعدو
مزاحا بين أصدقاء. وعندما وجد بين يومياتى كلمة "سرى"
ظن سيادته أن تحت القبة شيخا. كنت كأى شاب فى سنى

أمارس العادة السرية أحيانا. ولما قرأت عن مضارها، خطر أن أسجل عدد المرات فى كل شهر، حتى يمكننى مراقبة نفسى والإقلال من مزاولتها. لذلك كنت كلما عملتها كتبت فى مفكرتى الكلمة السابق الإشارة إليها، وكنت أكتبها بالانجليزية، حتى لايفهم أحد من اخوتى معناها اذا ماطلع على مفكرتى. ومنعنى الخجل من شرح الأمر لوكيل النيابة، الذى راح يصول ويجول فى الأسئلة.

وكان فى جيبى لحظة القبض علىّ رسالة لم ألقها فى صندوق البريد، لصديق فى بورسعيد وفى الحال قبضوا عليه. وكانت رسالة عادية تسأل عن الحال والأحوال. ومع ذلك قضى هذا الصديق بسببها فى السجن خمس سنوات كاملة. فبعد عامين فى السجن تحت التحقيق برأته المحكمة وحكمت علىّ بثلاث سنوات مع الشغل، قضيتهم وخرجت، أما هو فقد ذهب من المحكمة إلى المعتقل. وأكمل فيه خمس سنوات، هو الذى لم يدان، بينما خرجت أنا المدان قبله بعامين.

ومن يومها لاأحتفظ برسالة مهما كانت قيمتها. ولم أعد أكتب أى يوميات، أو مذكرات. ولم أشذ عن هذه القاعدة سوى مرة واحدة، عندما وصلتنى رسالة من الأستاذ نجيب محفوظ. كنت قد أهديته روايتى "شارع الخلا" فأرسل لى بضعة أسطر بمثابة تحية. ولما كنت أكن للرجل تقديرا خاصا، وكنت ومازلت متابعا ومعجبا بأعماله، فقد قررت الاحتفاظ بالرسالة. وأقنعت نفسى أنه من غير المعقول أن يحضروه بسببها فى أى قضية.

ومن عجب أنى أفكر الآن فى هذه الرسالة على نحو آخر. فرغم سعادتى بالرسالة فى وقتها، إلا أنى أعتبرها الآن غير كافية. أهذا كل ماإستطاعه نجيب محفوظ بمكانته المرموقة من أجل أديب شاب..؟!

أحيانا يقال أنه توسط من أجل طبع كتاب ما.. جميل كم مرة فعل ذلك..؟!

اننا نقرأ فى التاريخ الأدبى للأجانب، عن احتضان الأدباء الكبار للأدباء الجدد. احتضان بمعنى الكلمة..! احتضان فيه دفء الانسان. وحنان الأبوة. ومتابعة الأعمال الفنية، ومناقشة أصحابها فى جلسات خاصة يعمرها الحب والرغبة فى التواصل، والحث على التقدم. وهنا ثلج مجروش يغلف العلاقات بين أغلب الأدباء.

وإذا كان لى أن أستطرد. فرجل كنجيب محفوظ يثير عجبى، فهو رغم عظمته كفنان وأديب مثابر. إلا أنه لاموقف له. بل أحيانا يأتى بأعمال ضد معتقداته. فهو فى رواياته ناقد للواقع المصرى، غير راض عن سلبياته ومسبباتها، ومبشرا بنوع ما من الاشتراكية. وفى نفس الوقت تجده فى اللجنة الثقافية لحزب مصر (حزب السلطة) كيف.. لانعلم.. ثم فى الحزب الوطنى بعد ذلك..؟!

وعندما اختير يوما لرئاسة مؤتمر الأدباء الشبان بالزقازيق عام ٦٩. تخلف عن الحضور. لماذا لم يحضر ليلتقى الأدباء الشبان. لماذا لم يحضر ليناقشهم ويسمع منهم. لماذا لم يحضر لعمل موقف بناء بمشاركتهم..؟!

الهجاء

◎ ◎ ◎ ◎

كمن يلتقط أعقاب سجائر.
نلتقط بقايا الورق من الأرض.
جانب من غلاف علبة سجائر.
لم يكد أحدنا يشرع فى قراءة
ماهو مكتوب عليه "خليط من
أجود الأدخنة الأمريكية.." حتى انطلق آخر
يكمل العبارة "والشرقية طبقا للمواصفات.."
حتى نهايتها.
نشرة دواء. بلغةأجنبية يطالعها أحدنا ويسأل
عن معانى الكلمات. وعلى الفور يجيبه أكثر من
زميل. وإذا كانت باللغة العربية. امتحننا فى محتواها. ورقة من جريدة، أو من مجلة. بالية. ناشعة بالزيت أو الدهن من أثر لف طعام بها. نقرأ فقراتها. ونشحذ فكرنا. ماهو المكتوب قبل وبعد هذه السطور. وفى أى يوم. مر مايقرب من عام فى سجن القناطر الخيرية. وهم يمنعون عنا الكتاب والقلم والجريدة. ويغلقون علينا الزنزانات. كل ثلاثة فى واحدة. لمدة أربع وعشرين ساعة فى اليوم. باستثناء خمس عشرة دقيقة لدورة المياه. وأخيرا سمحوا لنا بالكتب المقدسة. ولما كانت النسخ محدودة ثلاث أو أربع. وعددنا كبيرا. حوالى ثلاث مئة فقد صار تداول الكتب بالدور.
ولما كان الملل يطل برأسه الغبية. وعينيه الجاحظتين فى بلادة. جعلنا نقطع الوقت فى..

— اسم ممثل.
— سنه.
— مانوع الأفلام التى لعبها ؟
وعشرات من الأسئلة، حتى نهتدى إلى اسم الممثل الذى اختاره فى سره أحد زملائنا.
— اخترت زعيما سياسيا.
— ماهو العصر الذى ظهر فيه ؟
— ماهى بلده ؟
يحتج صاحب الإختيار ويرفض الإجابة. نتفق على عدد الأسئلة المسموح بها، والأسئلة المحظور توجيهها.
— اسم بلد.
— فى أى قارة ؟
— ماهى شهرتها ؟
وهكذا، حتى نتعب أو نمل، ويفكر أحدنا فى لعبة أخرى.
وكنت سرعان ماأضيق بمثل هذه الألعاب، مفضلا الاتكاء والسرحان. أستعيد كتابا قرأته. أتملى مغزاه. فالحياة فى الخارج كثيرا ماتزحمنا بمشاغل يومية تلهينا عن التأمل بعمق. والمشاهدة بإمعان. هنا فى الوقت متسع.. فكر ياعزيزى كيفما شئت.. فيما فات.. وفيما هو آت.
وكثيرا ماخطرت على بالى أفكار قصصية.. ولكن هل تعلق بالذاكرة. كنت إذا ما اهتديت إلى فكرة ما، نحتها فى ذاكرتى. وكل عدة أيام أعيد حفرها بأزميل التذكرة، بينما أقطع الزنزانة بالخطو فى غدو ورواح، سائلا زميلى فى الزنزانة، وفى الغدو والرواح (الدكتور فيما بعد) رفعت السعيد
— إلى أين سرحت ياحاج (كنا نلقبه بذلك فى السجن)
— اخترعت طائرة.
وبعد مدة:
— كم قطعت ياحاج..؟
— حوالى مئة كيلو..

أعاجله :

ـــ وصلت بنها

ـــ على وشك .

وعلى قدر ماكان رفعت السعيد . ودودا . وحبوبا فى السجن . على قدر ماهو ثلجى . ودون عواطف . خارجه . وإن حاول غير ذلك .

مرة قابلته بشارع عبد الخالق ثروت . فى قلب القاهرة . كنت عائدا لتوى من الأسر الإسرائيلى . وأمشى مرحا . كأنى أكتشفت الناس والشوارع والمحال لأول مرة . فجأة وجدته أمامى . وحين عرف أين كنت . أخبرنى أنه لو كان يعرف . لقال لصديقه توفيق طوبى . زعيم الحزب الشيوعى الإسرائيلى . فربما اهتموا بى . وأفرجوا عنى . قلت ضاحكا :

ـــ حمدا لله . أنك لم تعلم . لو عرف الإسرائيليون . أن شيوعيا فى قبضتهم . لأعدموه فورا .

عزمنى رفعت على غداء وسينما . احتفالا بعودتى . تمنعت . ولكنه أصر . وافقت خجلا . استسمحنى أن يجرى مكالمة تليفونية . ليخبرهم فى بيته أنه سيتأخر . عاد بعد المكالمة . وكأنه لايعرفنى . سلم وانصرف . دون كلمة . . ! !

وأنا لم أصادف اثنين يجمعان على كلمة طيبة فى حق رفعت السعيد . ومع ذلك فالرجل شعلة من النشاط . أذكر أنه فى سجن الواحات الخارجة . كان مهموما بالتاريخ الفرعونى . وأنه كان فى سبيله لعمل كتاب عن ذلك . مستخدما التحليل الماركسى للتاريخ .

لكنه بعد أن خرج . كتب أشياء أخرى . لاعلاقة لها بذلك . على سبيل المثال . كتابه " أوراق ناصرية " . الذى أثار عجبى . يذكر رفعت السعيد فى الكتاب محاضر جلسات عبد الناصر فى الاتحاد الاشتراكى . وحديثه عن الاشتراكية . واستنتج رفعت أن ناصر كان يود تطبيق الاشتراكية . ومالذى منعه . وهو الحاكم بأمره . . ؟ !

كان من الواضح لكل ذى عينين . أنه أراد تنفيذ خطة تنمية

على خمس سنوات، ورفض الرأسماليون المصريون تمويلها فاضطر لتأميم بعض شركاتهم ومصانعهم ليمول الخطة. والتأميم لايعنى اشتراكية.

وكان ماأثار عجبى أن رفعت كان يحدثنا فى السجن، أن العبرة ليست بالأقول، سواء على الهواء، أو فى محاضر الجلسات، ولكن العبرة بالأفعال.. فلماذا لم يطبق رفعت كلامه على نفسه، وهو يؤلف هذا الكتاب، الذى لايُقنع أحدا.

وأذكر فى هذا الصدد (الأقول والأفعال) أن الرئيس الأمريكى السابق جونسون، كان أكثر الناس حديثا عن السلام، وكان أكثر الرؤساء الأمريكيين، صبا للقنابل فوق شعب فيتنام..!!

ومرة أخرى التقيت رفعت السعيد (أمين حزب التجمع فيما بعد)، صدفة أيضا، فسألته عن مشروعه عن التاريخ الفرعونى، خاصة وتحليل ماركس للتاريخ، لم يتعرض له، إلا فى شذرة عابرة. ولم أكن فى حاجة لأن يذكرنى، بما كتبه عن تاريخ الحركة اليسارية فى مصر. صارحته بقناعتى:

— هذا جيد. ولكنك لم تفعل مالايستطيع غيرك أن يفعله..

— نعم ياأخى..؟!

— القراءة الماركسية للتاريخ الفرعونى.. كانت ستكون إضافتك، والتى لايستطيعها غيرك، على الأقل الآن..

لمعت عيناه، خلف زجاج نظارته الطبية، وقال مازحا:

— ياروح أمك..!

أعود لغدوى ورواحى فى الزنزانة، ومتوقفا بين حين وآخر، مدققا النظر فى الجدران. فهذا شاعر كتب بقشرة برتقالة على الحائط أشعاره، وذاك عامل من نقابة عمال الحديد والصلب حفر بمسمار تاريخ سجنه، وطالب من اتحاد طلبة جامعة عين شمس سجل اسمه مع أبيات من الشعر أهداها إلى حبيبته.

وينجح زميل فى تهريب قطعة من قلم رصاص، لايتعدى

طولها عقلة إصبع. عندئذ يصبح لعلب السجائر الفارغة قيمة كبيرة. ننزع الورق الشفاف عن الورق المفضض الذى يلف السجائر ونفرد العلب. ونستعملها فى الكتابة، فالوجه الآخر من الورق المفضض أبيض. ووجه العلبة الداخلى خال. ويكتشف المرء أنه كاد ينسى الهجاء.

تجد زميلا يسأل:

ـــ هذه الهمزة على نبرة أم على ياء..؟!

وآخر يقول:

ـــ تلك الكلمة فى آخرها الف أم ياء..؟!

وفى حبسة أخرى، بسجن القلعة، وفى الليل يتسلق الزملاء شراعات الأبواب المغلقة. ويلقون الأشعار، مبددين وحشة الليل ورتابته. وجاء دورى فحكيت لهم كتابى "الأسرى يقيمون المتاريس"، مسلسلا عبر الليالى. وكان الكتاب وقتها ممنوعا من النشر..

الرجل ذو العصا الغليظة

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

بالتأكيد يوجد رجل بشع
الخلقة يتعقب خطواتى.
يختبىء، عند كل منعطف وفى
يده عصا غليظة. وكلما
أوشكت أن أحقق نجاحا ما.
برز الرجل ولوح بعصاه. فأخاف الطرف الآخر
الذى أوشك على الاتفاق معى. دفعت بكتابى
"الأسرى يقيمون المتاريس" إلى دار الكاتب
العربى. عرضوه على فاحص عسكرى. أبدى
اعتراضه على بعض جمل. ولم أر بأسا من
تغييرها. انتقل الكتاب إلى مرحلة أخرى، واقترب دوره من
دخول المطبعة. وفجأة.. لوح الرجل بعصاه. فاختفى رئيس
مجلس الإدارة. وحل محله الدكتور الشنيطى. وتسلمت
خطابا أنبأنى أنهم لايستطيعون طباعة كتابى فى الوقت
الحالى. وخوفا على مادته أن يضيع أوانها، يهيبون بى أن
آخذه. الكتاب المصرى الوحيد - وقتها - عن حرب ٦٧
يخشون أن يضيع أوانه..!!
وثانى كتاب عن الأسرى المصريين طوال ثلاثين عاما، بعد
كتاب عبد الرحمن عنان "كنت أسيرا"، يعتذرون عن نشره.!
ولوح الرجل لى هذه المرة بعصاه، فألجمنى، أخذت
كتابى ومضيت.
دق جرس تليفون جارتنا فى المنصورة. كان المتحدث

صلاح حافظ. أخبرني أن أحمد حمروش تمكن من محادثة صديق له في المخابرات الحربية برتبة لواء، وماعليّ إلا أن أذهب إليه للحصول على الموافقة على نشر كتاب "الأسري" في مجلة "روز اليوسف" وكنت أسمى الكتاب وقتها "مذكرات أسير". وكان الرجل إياه قد لوح بعصاه الغليظة لرقيب روز اليوسف بعد أن استعدوا لنشر الكتاب. وذهبت إلى المخابرات الحربية، وناقشتهم، ولوح الرجل بعصاه. واعترضوا على النشر. وبعد ١٥ مايو أرسلت شكوى لرئاسة الجمهورية لعدم نشر كتاب "الأسرى" وحضر اثنان من المخابرات إلى منزلي، وأخذا نسخة من الكتاب. وظهرت العصا.. وأعقبها صمت تام.

وذات مرة كنت نائما في بيتي لا لي ولا عليّ وإذا ببرقية تصلني من المخرج صلاح أبو سيف. هكذا.. يطلب مني إرسال أربع نسخ من كتاب "الأسرى" على وجه السرعة. أرسلتهم له بالبريد المسجل. بعدها اتصلت به تليفونيا فأخبرني أن مجموعته الخاصة تدرس الكتاب لتحويله إلى فيلم. ولوح الرجل بعصاه فلم أعد أسمع شيئا عن هذا المشروع حتى كتابة هذه السطور. واحتفظت زوجتي ببرقية صلاح أبو سيف في حقيبة يدها، متباهية بها أمام اخوتها وأصدقائها. فبعد أن فقدت الأمل في ذيوع أعمالي عن طريق الإذاعة والتليفزيون، هاهي برقية تنفس عن بعض أحلامها.. فلماذا لاتتشبث بها..؟!

جاءني صديقي الشاعر ابراهيم رضوان متحمسا، وأخبرني أنه التقى "صلاح أبو سيف" في الإذاعة. وتحدثا عني، وأنه يود قراءة روايتي "شارع الخلا" لأنه يبحث عن قصص لأفلامه. صلاح أبو سيف لثاني مرة. وأعطيته ماطلب.. وظهرت العصا الغليظة فيما بدا، والبقية معروفة.

وماأكثر المرات التي تحمس فيها صديقي الممثل على الشريف. وأخبرني أنه تحدث مع صلاح أبو سيف. صلاح أبو سيف لثالث مرة. وتحدث مع المخرج علي بدرخان وسعاد حسني والمخرجة علوية زكي. وهات رواياتك، ولاشأن لك.

قلت أريح ضميرى ، حتى لايكون التقصير من جانبى وأجبته إلى طلبه . والتقيت بعلى الشريف عدة مرات ، وفى كل مرة يطلب كتبا . من أجل خاطره ، وكالعادة أطيعه . ولكن ماحيلتنا والعصا الغليظة فى الأفق بالمرصاد . . ؟ !
وصلتنى رسالة من صديقى الشاعر زكى عمر فى عدن ، يطلب عدة نسخ من روايتى "رجال وجبال ورصاص" حيث يعدون لمؤتمر عن الكتاب الذين تناولوا اليمن فى كتاباتهم وسترسل لى دعوة لحضور المؤتمر . وأرسلت الكتاب . . ولم أكن أدرى أن الرجل إياه يملك المقدرة على التلويح بعصاه خارج الحدود أيضا . فمنذ أرسلت الكتاب لاكلمة ولاخبر .
وسمعت يوما أن العراق تطبع كتب الأدباء الشبان . أرسلت لهم كتاب "الأسرى" . سافر إلى العراق وعاد الكتاب مع اعتذار بعدم الطبع . قلت فى نفسى : هذا كتاب منحوس . وأعطيتهم مجموعة قصص قصيرة . سافرت إلى حاضرة الرشيد وعادت . فأيقنت أنها العصا الغليظة .
وسافر الصديق الرسام عبد الحليم البرجينى يوما للعمل فى السودان . فأعطيته نسخة من "الأسرى" ويبدو أن العصا ظهرت له قبل أن يعبر الحدود . فوصل خائفا لدرجة لم تمكنه من ارسال كلمة واحدة .
وأتيح لى فى القاهرة أن ألتقى بالأستاذ محمد النورانى رئيس تحرير جريدة "الأيام" وحدثته عن قصة الكتاب الذى يحمله البرجينى . فطمأننى . وطلب منى أن أعتبر أننى كتبته خصيصا من أجل "الأيام" وعلمت أنه كتب مقالا عن أحد كتبى الأخرى .
ويبدو أنه بمقاله أثار انتباه الرجل حامل العصا . فلوح بها . ولم ينشر الكتاب .
ومن قبل . أرسلت مخطوطة الكتاب إلى بيروت ، مع صديقة كانت فى زيارة للقاهرة . ومع أن بيروت كانت ترحب بنشر الكتب ، لأنها تحوز نصيب الأسد ولايكاد المؤلف يحصل على شىء من حقوقه المادية إلا أن العصا الغليظة كانت لها . بالمرصاد .
وذات يوم ، فوجئت بصلاح ابو سيف ، يتحدث فى برنامج

تليفزيونى عن "الأسرى". والتقيته بعدها، صدفة، على سلم قصر ثقافة السينما بجاردن سيتى. وكان عائدا من أيام، من مهرجان تكريمه بباريس. ماأن رآنى، حتى ضحكت عيناه الطفوليتان، وبادرنى بلهجته المفعمة بمرح، كمرح الصبية:

ــ فاكر الرواية..!

لم أرد واكتفيت بالضحك. ولم يمض وقت طويل حتى أعلن اعتزاله العمل السينمائى.

ولست أزعم أنه فعل ذلك، بسبب ملاحقة حامل العصا الغليظة له. ولكن المؤكد أن حامل العصا قد شمت بى، بعد اعتزاله.

وقبل أكتوبر ٩٤. أعددت روايتى "المحاصرون" للنشر فى الأهرام المسائى. ونشروا حلقتين فى ٢/١٠/ و ٩/١٠/٩٤ ثم توقفوا. انتظرت عبثا، أن يعتذروا عما حدث، وأن يستأنفوا النشر.

ولكن.. كيف ينشرون.. وحسين ملك الأردن يوقع معاهدته مع اسرائيل.. ورئيس أمريكا كلينتون يحضر التوقيع.. والإعلام مصهلل.. والحلقة الثالثة من روايتى.. تتحدث عن حرب الاستنزاف.. وعن طائرات الشبح الأمريكية.. التى يقودها الإسرائيليون.. ويقذفون بالقنابل العنقودية على جنودنا، ومواطنينا فى ضفة قناة السويس الغربية..؟!

وحين عقد مؤتمر أدباء مصر فى الأقصر، بعدها بمدة قصيرة، تحدثت إلى وزير الثقافة فاروق حسنى، فى الجلسة الافتتاحية:

ــ ليس صحيحا مايقال عن عدم قصف أقلام الكتاب.. لقد قصف قلمى.

ضجت القاعة بالضحك.. وشرحت لهم ماحدث لـ "المحاصرون".

قال الوزير:

ــ لماذا لم تبلغ المجلس الأعلى للصحافة..؟!

فور عودتى من الأقصر، كتبت للمجلس بالواقعة. ويبدو أنهم

أرسلوا صورة من رسالتى إلى رئيس تحرير الأهرام المسائى ، فقد فوجئت بمكالمة تليفونية من الدكتور / اسماعيل ابراهيم مدير التحرير ، يعاتبنى لأننى لم أتصل بهم . سألته :

— ماسبب توقف النشر

— الأصل ضاع منهم .. !!

— لماذا ، لم تتصلوا بى لأرسل لكم نسخة أخرى .. ؟!

— أرسل نسخة أخرى .. وسنبدأ النشر من البداية

— لقد أهنتم القارىء .. فقد كتبتم فى نهاية الحلقة الثانية "تمت" والرواية لم تتم .. ومن حقكم أن تمتنعوا عن النشر ، بل وأن توقفوا النشر .. ولكن مع اعتذار للقارىء .. أما هكذا .. فلا يصح

— أكتب الاعتذار الذى تريده وسوف ننشره .

— لا .. أكتبه أنت ..

وأرسلت له فعلا ، نسخة أخرى من الرواية . ومرت الأيام ، ولاحس ولاخبر ..

نسيت أن أقول ، أن محدثى اكتشف أثناء حديثنا ، أنه من المنصورة ، وأن بيته يقع فى شارع قريب من بيتى .

وكان ماأزعجنى حقا ، أننى تكلمت فى مؤتمر عام ، يحضره جمع من الصحفيين والكتاب ، من مختلف الاتجاهات ، ومع ذلك ولاكلمة واحدة ، فى صحيفة أو مجلة .

وقبل المؤتمر ، كتبت لجريدة "الجمهورية" ولجريدة "أخبار الأدب" .. دون فائدة .

نفس الصمت الذى قوبلت به ، عند واقعة "سجناء لكل العصور" . لماذا الصمت ياسادة .. هل لأنى يسارى .. ؟!

أم الظرف غير مساعد .. إذا صح ذلك أيام "سجناء لكل العصور" حيث كان السادات يهاجم اليسار ، ويصدر مايشاء من قوانين استثنائية .. فما هو عذركم الآن .. هل تجاملون الحكومة .. التى تجامل حكومة رابين التى وقعت معاهدة السلام مع الأردن ..

وإذا غفرنا الأمر لصحف اليمين ومجلاته ، وكذا لصحف الحكومة ، المسماة بالصحف القومية ، فما هو عذر

المحسوب على اليسار..؟! كانت السيدة / فريدة النقاش حاضرة، وهي عضو بارز فى حزب التجمع، وفى جريدته الأهالى، وترأس تحرير مجلته الأدبية "أدب ونقد".. ومع ذلك ولاكلمة.. هل لوح لها الرجل ذو العصا الغليظة بعصاه.. أم لأنى أختلف معهم فى الرأى..؟! وماذا عن تشدقهم بالدفاع عن الحريات..؟!
وكانت المفارقة العجيبة، أن الجريدة الوحيدة التى اهتمت بالأمر هى "الأحرار" ذات التوجه اليمينى.. ولكن بفضل العزيز / هشام الصباحى الذي كتب عن الموضوع، وبفضل الشاعر أسامة عفيفى الذى أفرد مكانا للنشر فى الصفحة الأدبية، علم الناس بما يحدث.
إن حرية التعبير لاتنجزأ أيها السادة.. فإذا انتقصت من يسارى اليوم.. فما المانع أن تنتقص من أى اتجاه آخر إذا لم يعجبهم مايفعل..؟!
وأنعش الأمل فى نفسى، مكالمة تليفونية من الناقد الدكتور / صلاح فضل. أخبرنى أنه علم بالأمر من الدكتور / مدحت الجيار، الذى كان موجودا فى الأقصر، وأنه يعتزم إثارة الموضوع حتي تهتم به لجنة حقوق الإنسان.. والكتابة عن الرواية فى "أخبار الأدب".
وأرسلت له نسخة من الرواية. وبعدها.. لاحس ولاخبر. هل ظهر له الرجل ذو العصا الغليظة.. أم فترت همته عندما علم أن "المحاصرون" سبق أن نشرت فى كتاب.. أم لم يرحب من أراد النشر عندهم، بما يود كتابته..؟!
وتمشيا مع سياسة المجاملة، أوقفت الصحافة المصرية، حملتها ضد قتلة الأسرى المصريين، من الإسرائيليين. ظنا منها أنها تساعد بيريز زعيم حزب العمل على النجاح فى الانتخابات. ومع ذلك نجح منافسه نتن ياهوه (كما ينطقها العامة بحق). نجامل حزب العمل، وكأنه أفضل من الليكود.. أليس اسحق رابين زعيم حزب العمل السابق هو رئيس أركان جيش اسرائيل فى حرب ٦٧، وهو المسئول الأول عن قتل

الأسرى المصريين. فالذى قام بذلك ضباط. عملوا، تحت إمرته مباشرة.
وأليس بيريز. هو الذى قام بمذبحة قانا، وقتل فيها مايزيد عن مئة مواطن مدنى..
وكانت جريدة "الأحرار". إبان الحملات الصحفية عن قتل الأسرى. قد نشرت عن تجربتى فى الأسر تحقيقا صحفيا. وطلبت نشر روايتى "الأسرى". فوافقت، وحين ألححت لهم بضرورة دفع مكافأة. قالوا:
— لانعطى مكافآت عن نشر الأدب..؟!
— لماذا.. ألا تنشرون إعلانات فى الجريدة.. وتأخذون ثمنها.. ألا يتقاضى رئيس التحرير ومديره والمحررون رواتب..؟!
— قليلة.. وتتأخر..
— لابأس.. فليكن قليلا.. ولايهم التأخر.
وفجأة فتر حماسهم. هم الذين استعجلونى تليفونيا. لأرسل لهم نص الرواية. ونزلت من منزلى فى المنصورة - وأنا مريض بالانفلونزا - وتوجهت إلى مقرهم بالقاهرة.
وبعدها تساءلت.. كيف تكون جريدة معارضة.. وتأكل حقوق كتابها.. وكيف أصدق بعد ذلك أنها تدافع عن حقوق الناس.. ولكنى فى الحقيقة لمت نفسى بعدها لوما كثيرا. فلم يسبق لى أن طلبت مكافأة عن أعمالى الأدبية. كنت أترك الأمر للظروف.. أحيانا آخذ. وأغلب الأحيان لا أحصل على شىء.. معتبرا الأمر رسالة.. فلماذا حبكتها هذه المرة.. هذه المرة بالذات.. حيث النشر ضرورى لأهمية الموضوع من جهة.. وللمساهمة فى الحملة ضد قتلة الأسرى من جهة أخرى..
وحدث بعد الانتخابات الاسرائيلية أن نشرت "الأهرام المسائى" فصلا من روايتى "عنقودة وسمرة". تعجبت لأنهم نشروا بعد قطيعة. تشجعت وأرسلت لهم "الأسرى". قائلا فى رسالة مرفقة:

مساهمة منى ومنكم فى الحملة ضد قتلة الأسرى. مع علمى أنهم لايدفعون مكافآت للأدباء أيضا..!!
ومع فقدى الأمل فى النشر، فالرواية طبعت منها خمس طبعات من قبل.
بعد أن وصلهم النص، اتصل بى الصديق / سعد القرش وقال أنهم سينشرونها. وانتظرت عدة شهور، دون جدوى. قلت فى نفسى: لاجديد فى الأمر.. فقد ظهر لهم الرجل ذو العصا الغليظة.
وفى ٩٦/٩/١٥. فوجئت بالحلقة الأولى من "الأسرى" منشورة فى "الأهرام المسائى"، وتوالت الحلقات.. ولم أتعجب.. فقد فاضت تصريحات نتن ياهوه رئيس وزراء العدو الإسرائيلى، عن الكيل.. وقال بوقاحة: لا لإعادة القدس الشرقية.. ولا للدولة الفلسطينية. وأخذ يسخر من الحكام العرب.
إذن فلا عجب أن ينشروا "الأسرى".. فالرجل ذو العصا الغليظة. لم يستطع إخافتهم ومنع النشر. الذى أخافهم، ودفعهم إلى النشر هو نتن ياهوه زعيم حزب الليكود.. وهو يلوح لهم، وليس فى يده عصا غليظة، ولكن قنبلة نووية.

أصول بعض الشخصيات

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

[١] [[المدام]]

أمضيت الأيام الأخيرة فى الجيش بالقيادة العربية الموحدة بمدينة نصر . وكنا بعد الظهر . نحتل مكاتب الضباط. نستعمل مقاعدهم وتليفوناتهم. وذات ليلة دق جرس التليفون. رفعت السماعة. فطلبت منى سيدة أن أنادى والدتى . وطبعا كدت أنفجر من الضحك. ويبدو أنها سمعت ضحكاتى المكتومة على الجانب الآخر. فثار فضولها. وجعلنا نتحدث.. كل منا يحاول معرفة شخصية الآخر. وعندما اعترفت لها أنها طلبت رقما غير الذى تريده. كنا قد تصادقنا وتواعدنا على الحديث التليفونى.

كانت سيدة لبنانية رقيقة. ثقافتها فرنسية. ولكنها معجبة بالشعر العربى القديم. عاشقة لأم كلثوم. ومتيمة بقصيدة "أراك عصى الدمع". وكانت ذات نفس أسيانة. تتأثر بعمق لآلام الآخرين. فلو انقلبت عربة فى شنجهاى. ونشرت الصحف أنباء عن ضحاياها. بكت هى فى بيروت. وظلت لوقت طويل عكرة المزاج.

وتكرر الحديث وطال. كنا نقضى جانبا كبيرا من الليل.

لايمل أحدنا من الآخر . وكان لابد من اللقيا . أبدت استعدادها لنتقابل فى الهيلتون ليلا . وحاولت أن نتقابل نهارا فى أى مقهى، ولكنها لاتخرج نهارا ولم يسبق لها ارتياد أى مكان آخر، فضلا عن جهلها بمعالم القاهرة. كنت منزعجا من فكرة الـ "هيلتون" هذه. لم يسبق لى الذهاب إليه، ولاأعرف أسعاره، فضلا عن شعورى بالخجل الشديد عندما أتواجد فى أماكن يؤمها سراة القوم.

وذهبت لصديقى الممثل أحمد عقل، وطرحت عليه المشكل، فهون على الأمر، مدعيا أنه خبير بالهيلتون. فاقترحت أن يصحبنى إليه، حتى لاينفضح جهلى أمام "المدام".

وذات ليلة بعد انتهاء عرض أحمد عقل فى المسرح، ألححت عليه وذهبنا. كنت أود معرفة مواقع "الكافتيريا" و"البار" والقاعة الشرقية التى طالما سمعت عنها، والطريق المؤدى إلى هذه الأماكن. كنت أرغب فى التأقلم مع هذا الجو، حتى لاأبدو غريبا وسط مرتادى الهيلتون من الأجانب وأثرياء المصريين. وأثناء تجوالنا اكتشفت أن صديقى يرتاد الهيلتون لأول مرة أيضا.

ولما أعلنته بهذا ضغط علىّ يدى وانفجرنا ضاحكين. ولم نغامر بالجلوس فى أى مكان، فلم نكن نملك أكثر من ثمن مواصلة العودة. وحددنا موعد اللقاء. ستنتظرنى أمام استقبال الفندق. وأعلنتنى بلون فستانها. ولما كنت فى الجيش لاأملك سوى قميص وبنطلون، فتعين على أن أبحث عن سترة ملائمة و"كرافتة"، حتى يمكنني الجلوس فى البار مساء. وبالفعل عثرت على صديق فى "السيدة". أعارنى ماأردت. وتمكن أحمد عقل من اقتراض مبلغ خمسة جنيهات كاملة، وأوصانى ألا أفرقعها كلها.

تقابلنا دونما صعوبة. جلسنا فى البار وطلبت كأسا. لم أستطع التقاط اسمه. وسألنى الرجل عن طلبى فتحيرت..

كدت أطلب "روم" كما كان يفعل أبى عندما يلم به مرض. ولكنى بإلهام خفى طلبت كأسا من الكونياك.

وقضينا سهرة ممتعة، فى حديث هادىء، ولمسات حانية. يحيط بنا ضوء خافت، وأنغام منسابة فى عذوبة، ومناظر مؤنسة مبهجة، لسيدات وفتيات بصحبة أصدقائهن. ولا أحد يلتفت إلى جاره، مهما همس ومهما فعل كل فى دنياه الخاصة.

جاء وقت الحساب. أعطيت النادل الورقة "أم خمسة". غاب بضعة دقائق، طب فيها قلبى عدة مرات، ثم أحضر لي الباقى على طبق فى لون الفضة. أوراق جديدة "لنج" وبعض قطع معدنية. تناولت الأوراق ودسستها فى جيبى. وعندما انصرف الرجل، تساءلت المدام:

— لماذا لم تتركها له بقشيشا..؟!

تمتمت بكلمات غير مفهومة، حتى لى أنا، بينما أشهق فى داخلى.. أأترك ثلاثة جنيهات ونصف بقشيشا..؟! وماذا سيفعل أحمد عقل معى.. بالتأكيد سيطبق على زمارة حلقى. إنه لم يشأ اقتراض جنيه أو اثنين. لقد أرادنى "قيمة"؟ فأعطانى خمسة جنيهات كاملة. أهكذا يكون رد الجميل. إن الجنيه ونصف سأسدده على أقساط شهرية، فراتبى الشهرى فى الجيش لايتجاوز هذا المبلغ.

وسافرت هذه السيدة إلى بلدها. وداومنا على المراسلة بعض الوقت. وعندما كتبت قصتى القصيرة "الخيوط" كانت هذه السيدة حاضرة فى ذهنى. وذهبت بالقصة إلى الروائى صالح مرسى، وكان يفرد صفحات فى مجلة صباح الخير، ينشر فيها للأدباء الشبان، لكنه لم ينشرها. وقد نشرتها فى مجموعة مشتركة باسم "عقد من طرف واحد" صدرت عن هيئة الكتاب عام ٧١، ولكنى لم أضمنها أى مجموعة قصصية لى فيما بعد.. ولست أدرى لماذا..؟!

وعندما افتقد الرقة والعذوبة والأنوثة، وعندما أواجه بفظاظة الأيام، تقفز "المدام" إلى خاطرى، وأشعر بالأسى.

[٢] ....

زميل فى العمل، رفيق، هادىء، قليل الحسم والكلام.. متواضع، لايشعرك بوجوده. نشط دون جلبة. يقوم بأشق الأعمال دون تردد. ليست له أى مطالب. وتعجب حين تعلم أنه من قوات المظلات، ومن القوات الأولى العاملة فى اليمن.
— أنت..؟!
أطرقت عيناه خجلا وقال:
— نعم.
— أريد أن أسمع..
— حاضر..
لايقول لا أبدا. كنت أقتنصه من أعباء الإدارة المالية التى يحملها على عاتقه وحده تقريبا. ونزوغ ساعة أو بعض ساعة، نجلس فى مقهى قريب من مجلس مدينة طلخا، حيث كنا نعمل وقتها. يتكلم وأناغشه.. حتى يتعب من أسئلتى واستفساراتى، وأتركه لموعد فى الغد. وحين لايستطيع الحضور أذهب إليه، وأنتهز أى فرصة يستطيع فيها أن يرفع رأسه عن أوراقه وأشير إليه، فيتبعنى بضحكته ذات الايقاع اللطيف.
ويحكى..
وأسرع إلى قلمى وورقى..
حتى أخذت منه ماأريد لروايتى "رجال وجبال ورصاص".
وهذه الرواية لم تأخذ حقها من النقد، بالرغم من محاولتى التجديد فى تقنيتها. فلا يوجد بطل رئيسى، وأشخاصها دون أسماء. وحاولت أن أجعل الحرب هى البطل الرئيسى.
ولما كان النضال فى اليمن ضد التخلف وأعداء الإنسان

لايعرف التوقف. فلم أقسم الرواية إلى فصول وجعلتها معزوفة واحدة.

وفى ندوة بقصر ثقافة الحرية بالاسكندرية، استمعت لعديد من الآراء حول هذه الرواية، بعضها لم يخطر لى ببال وأنا أكتبها. وكان ماأبهجنى حقا رأى الدكتور سعيد الورقى حول الرواية شكلا ومضمونا ولغة. ولقد أمكنه سبر غور هذا العمل. ولست أدري.. لماذا لم آخذ منه الورقة التى دون فيها رأيه ساعتها، فعندما طلبتها منه بعد ذلك، كان قد فقدها كعادته. ولقد وعدنى أكثر من مرة بعمل دراسة عن مؤلفاتى، ودائما يخلف وعده، أو تأخذه مشاغله مع طلبته، فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية.

[٣] [[أمـــى]]

أمضيت فى أول حبسة فى السجن تسعة وثلاثين شهرا متواصلة. زارتنى أمى خلالها مرة واحدة. وقد علمت من رفيقاتها فى الطريق - فيما بعد - أنها كانت تسبنى وتلعننى. ولقد تأثرت لموقفها هذا كثيرا.
ومازلت أذكر معاملتها لى ولإخوتى أثناء الطفولة والصبا. كانت قاسية.. إذا أخطأ أحدنا ضربتنا جميعا، ولسانها لاينى يكيل الشتائم والتوبيخ.
ولكنها - والحق يقال - تحملت عبء تربية سبعة أبناء أحياء. كان راتب أبى لايتعدى ستة جنيهات فى وقت من الأوقات. وكنا جميعا تلاميذ فى المدارس. كانت أمى تجيد الاقتراض وعمل الجمعيات، ما ان تنتهى إحداها، حتى تسارع إلى عمل أخرى، تسد منها دينها من الجمعية السابقة. وتشترى من الباقى مانحتاجه. وكان أبى يعتمد عليها فى تدبير العجز فى المصروف دائما. وكانت شخصيتها قوية آمرة إلا فى مواجهة أبى. ولاأستطيع الزعم أننى أحببتها. كل مايمكننى قوله أنى كنت ومازلت أتحسر على حالى، عندما أرى أولئك الذين يتبادلون الحب والمودة مع أمهاتهم.
وكانت تحفظ العديد من الحكم والأمثال الشعبية، تستعين بها علينا مع شتائمها.
وأمى بطلة أكثر من قصة كتبتها، قصة "الشقة الجديدة" وقصة "ست أم عادل"، وأظن فى جعبتى قصة أخرى، بعد أن تخلى عنها جبروتها بسبب المرض والشيخوخة.
والغريب أننى أصبحت أشعر نحوها بالتقدير. بل أحسست حنانها تجاهى وحدبها علىّ. لماذا كان هذا مختفيا..؟! هل

أخفاه الفقر، وبصم طبعها بالحدة. ولم تمكنها قسوة الأيام من الإفصاح عن حقيقة مايدور فى نفسها..؟!
أما أبى فهو بطل قصة "عم ابراهيم"، وهى أول قصة تنشر لى. نشرها الأستاذ تحسين عبد الحى فى باب بريد القراء بمجلة "الثقافة"، بعد أن حذف عدة أسطر من نهايتها.
فيما عدا هذه القصة، أعتقد أن أبى قد ألقى بظله هنا أو هناك.
وفى الصغر، كان يحكى لنا سيرة "أبو زيد الهلالى" وكثيرا من الحكايات الشعبية التى كان يسمعها فى مقهاه. وبعد مايزيد على ثلاثين عاما من هذا التاريخ أكتب قصتين من وحي حكاياته. قصة "أبو القمصان" وقد نشرت فى "آفاق ٧٩" وقصة "تمريغ الحمارة" ضمن مجموعة "الصعيدى التائه". وقد نشرت القصتين فيما بعد فى مجموعتى "النيل ينبع من المقطم" الصادرة فى سلسلة "مواهب".
ولما كان أبى أميا فكان يجمعنا بعد العشاء. ويطلب من أخى الأكبر أن يقرأ لنا إحدي الروايات. ومازلت أذكر من هذا العهد رواية "فى سبيل التاج".
أما أختى الكبرى فكنا نسميها المقرىء الخاص. كان يحضر لنا الكتب والمجلات، ويطلب منها قراءة العناوين. والعنوان الذى يعجبه يستوقفها عنده، لتقرأ له ماتحته. وأعتقد أن اهتمامى بالسياسة قد نبت فى ذلك التاريخ.
رحم الله أبى، كانت لمسة يديه الحانيتين الدافئتين، تزيل مايعلق بى من تعب أو مرارة.
كان أبى ينبوع حنان لاينفد.

الاكتئاب الأدبى

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

لست أبحث عن شهرة، ولست أسعى إلى مال. كل ماأبغيه أن تصل كلمتى إلى الناس. فإذا وقف فى طريقها عائق لايمكن تخطيه. فالكاتب عندئذ معرض للإصابة بما أسميه "الاكتئاب الأدبى".
وعندما كنت ألمس أعراض "الاكتئاب الأدبى" تظهر على أصدقائى من الكتاب والشعراء، كنت أحدثهم عن الأثر التى تحدثه كتاباتهم وأشعارهم فى الناس. كانوا يقنعون بحديثى حينا، ثم لاتلبث أعراض "الاكتئاب الأدبى" أن تغزو عقولهم، وتبذر فى نفس كل منهم، تلك البذرة الخبيثة، المثبطة للحماس. الحماس للكتابة، للحياة، للصراع. ولايمضى وقت طويل حتى أسمع أن فلانا سافر إلى بلد عربى. فأعلم أنه هرب بنفسه من الاختناق، محاولا التنفس على صفحات جريدة ما، هو أول من يعلم أنها لاتصل إلى قارئه الحقيقى فى مصر، وأن القراء هناك قليلون. ولكن ماذا يفعل.. وسبل النشر مسدودة أمامه فى بلده..؟!
كنت أعذرهم بينى وبين نفسى، وأروح أسترجع كلمات أصدقائى، مستمدا منها بلسما يقينى شر الإصابة بـ"الاكتئاب الأدبى".

قالت لى صديقة: كبر ابنى، وقرأ روايتك "الأسرى يقيمون المتاريس" وعلى استعداد لمناقشتك فيها. وأتذكر ابنها الطفل.. هاهو قد كبر.. وأيضا قرأ. وحدثنى صديقى القصاص محمد روميش أن ابنه قرأ روايتى "الأسرى" كاملة، وهو فيما يذكر لم يتم كتابا من قبل.
كانت تلك الكلمات البسيطة تحفزنى إلى العمل. لايهم أننى أقوم بطبع ماأكتب. لاتهم النفقات. لاتهم مشقة التوزيع. كنت أعزى نفسى أنه سيأتى يوم لامحالة، تقوم فيه مؤسسة ما طبع ماأكتب وتوزعه. ولكن.. هاقد مر ربع قرن منذ أمسكت القلم ولم توجد هذه المؤسسة بعد..؟!
وظننت لغفلتى، ولسذاجتى، يوم عقدت اتفاقا مع دار "الثقافة الجديدة" ومع شركة توزيع الأخبار، أن مُشكلى قد حُل. ماعلى إلا تدبير نفقات الطبع، وستتولى الأخبار نشر الكتاب عند باعة الجرائد، والمرتجع تتولاه "الثقافة الجديدة". وأحسست أن من واجبى إعادة طبع روايتى "شارع الخلا". فطبعتها الأولى كانت سيئة الإخراج، مليئة بالأخطاء المطبعية والنحوية. وصححتها، وخوفا من تكرار أخطاء المطبعة، صورتها وطبعتها بالأوفست، وسلمتها لشركة توزيع الأخبار.
وغاليت فى تفاؤلى، فأعدت طباعة كتاب "الأسرى" فى نفس الوقت تقريبا. فقد لحظت فى معرض الكتاب الأخير بالقاهرة، أن نسخ الطبعة الأولى المعروضة قد نفدت. وأردت أن أذكر الناس بما عانيناه من العدو الاسرائيلى فى وقت يتسابق فيه بعضهم لإظهار ولائهم لأمريكا واسرائيل.
وبعد طرح الكتابين فى السوق، لم توزع كل طبعة من الكتابين أكثر من ثلاثين نسخة..؟! يمكننى توزيعهم على أصدقائى وأنا جالس فى أى مقهى..؟!
وطبعا رحت أستقصى الحقائق.. فعلمت أن الكتابين لم يطرحا فى الأقاليم، واكتفوا بالقاهرة والاسكندرية. وأغلب

الباعة بركن الكتب غير الصادرة عن دور النشر الكبرى المعروفة "تحت الفرشة" . ومع ذلك لم أستطع الاكتفاء بهذه الأسباب. القاهرة ذات الثمانية ملايين نسمة، وذات الجامعات الخمسة، وعشرات النقابات المهنية، ومئات المؤسسات. هذه المدينة الجبارة اشترى سكانها عشرين نسخة فقط. إن بالقاهرة عدة كليات للآداب، ومعهدا للتذوق الفنى وآخر للنقد ودارا للعلوم. ان أساتذة هذه الكليات والمعاهد - وليس الطلبة - لو اشترى كل واحد نسخة من الكتاب لوزعنا أكثر من ذلك بكثير . وماذا أقول: وأناس صناعتهم الأدب لايهتمون بالأدب..؟! فمن يشترى اذن..؟!

ناهيك عن الكتاب والفنانين.. والمفروض أنهم يتابعون كل ماينشر كل في تخصصه . ولست أدرى كيف يتحدثون بعد ذلك عن أزمة الأدب، وهم لايعلمون شيئا عن الأدب..؟!

اعتبرت الأمر إهانة بأى مقياس. وقلت العوض على دار "الثقافة الجديدة". وكانت المفاجأة . رفضت الدار استلام "شارع الخلا" فمخازنها مكتظة بالمطبوعات ولامكان لها .

ووضح بجلاء أنى شربت مقلبا مرا.. وأنه ينبغي على توزيع الكتاب بنفسى، بالإضافة إلى كتاب "الأسرى".

وكيف أفعل.. وقد وزعت طبعة من "شارع الخلا" منذ اثنى عشر عاما..؟!

وكيف أفعل.. وقد شكا أصدقائى من كثرة ماأرسل لهم من مطبوعات لى ولأصدقائى..؟!

وكيف أفعل.. ولم أعد شابا يستطيع أن يحمل الكتب على ساعديه ويسافر إلى المدن المختلفة..؟!

أعيانى البحث عن حل للخروج من هذا المأزق، ولاينى سؤال يؤرقنى:

كيف تصل الكتب إلى الناس..؟!

ونظرا لصعوبة الإجابة، فلقد فتر الحماس للكتابة بعض

الوقت. لماذا تعب الدماغ فى التأليف.. ولماذا تحمل مشقة الطبع ونفقته. إذا كانت الكتب فى النهاية سترمى فى حجرة بمنزلى. أنفض عنها التراب بين حين و آخر..؟!
وأليست هذه بعض أعراض "الاكتئاب الأدبى" قد بدأت تظهر علىّ.. أنا الذى طالما حذرت الآخرين من مفعولها المدمر. وياما قلت لهم: كل دولة ولها رجالها.. وهذه ليست دولتنا.. وحتما سوف يأتى يوم تأخذ فيه أعمالنا مكانتها اللائقة بها.. إذا كانت تستحق طبعا. كان العزاء أن الكتاب يصل إلى القارىء مهما تكبد صاحبه من صعاب..
أما الآن فقد حيل بين الكاتب وقارئه.. فما العمل..؟!
أليس من "حقى" أن أمرض كالآخرين بـ "الاكتئاب الأدبى"..؟!
هل أنا محروم من حق المرض..؟!
وياله من توقيت يمرض فيه الانسان..؟!
يمرض وقد اصبح يعى معنى النقد الذى وجه إليه. كانوا يقولون عن بعض أعمالى. أنها تتسم بالمباشرة. وبصرف النظر عن صحة هذا القول من عدمه فإن المباشرة ليست عيبا. مادامت توصل من أقصر الطرق بشكل فنى دون زعيق. ومادام احساس المتلقى مستريحا لما قرأ. جميل.. أفهم الآن ماذا تعنيه.. عبارة "عدم المباشرة"، وأفهم معنى انشاء عالم فنى خاص بى. أو عالم قائم بذاته خاص بالموضوع الذى أعالجه.
أمرض فى وقت خططت فيه لرواية عن حرب أكتوبر. لقد أزعجنى ماقرأته من كتابات أدبية عنها. اتسم أغلبها بالضحالة والتسرع. وكنت قد انتويت البعد عن الدم والرصاص. بعد أن عالجت ذلك فى أعمال سابقة. قابلت عددا من جنود معركة ٧٣. واستمعت إلى شهاداتهم. ودونت ملاحظاتى وناقشتهم فيما أدلوا به. وقرأت أغلب الكتب التى صدرت عن هذه الحرب. وتعليقات الصحافة أيامها.

ولكم تعذبت وأنا أقرأ وأفكر فى حرب ٧٣، وسؤال لحوح يبحث عن اجابة : هل انهزمنا .. أم انتصرنا .. ؟

نحن نزعم أننا انتصرنا ، والعدو الاسرائيلى يزعم أننا انهزمنا . تارة استقر على الانتصار ، فأبتهج وتشع نفسى بالرضا ، وتارة أميل إلى الرأى الآخر فأشعر بالاحباط والضيق . وأروح أستعيد مناقشاتى مع الأصدقاء وشهادات الجنود ، وأعمل الفكر فيما قرأت .

وأخيرا وصلت إلى شاطىء قناعتى ، أننا رغم كل شىء قد صنعنا شيئا عظيما . واهتديت إلى سؤالى الخاص عن الرواية .. لماذا يضحى الإنسان بنفسه ؟ ، وتفرع منه سؤال آخر : لماذا يود الانسان أن يحقق ذاته . وبإجابتى عن هذين السؤالين تكونت فكرتى عن الرواية .

وبزغ بُعدها الآخر .. إن الانسان يظل طوال عمره قلقا ، إلى أن يحقق ذاته . وبمعنى آخر يحقق ملكاته ومواهبه .

لى صديق مهندس كان مهتما بالكتابة الأدبية فى بداية حياته العملية ، ثم انشغل عنها بمهنته . وعندما قابلته مؤخرا ، حاولت أن أعرف ماهية احساسه لتركه الكتابة . قال :

ـــ هل تعرف مدينتى ؟

هو من يسارى دكرنس ، الذين سبق الإشارة إليهم ، وقد انضم أغلبهم إلى حزب التجمع فيما بعد .

ـــ نعم .

ـــ لم تكن بها شبكة مجارى . أنا أول من أنشأها .. خططت المشروع ونفذته . أعرف كل شق تحت البيوت .

وكان وجهه يشرق بالبشر والرضا . لقد حقق نفسه فى مجال آخر . الكتابة لم تكن مجاله الحقيقى . وعندما وجد نفسه ، كان محالا أن يهتم بشىء آخر .

وثار سؤال آخر : لماذا يجهد الانسان نفسه لتحقيقها أو ليجدها ؟ ، وسؤال متفرع عنه : ولماذا لايعيش كيفما اتفق .. ؟! .. يأكل وينام ويتناسل ويعمل أى عمل ودمتم .. !!

أجبت على نفسى اجابات كثيرة، اعترف أنها لم ترضنى تماما، إلى أن كان يوم لحظت فيه أن معاملتى لولدى لاتختلف كثيرا عن معاملة أبى لى ولإخوتى، طريقتنا فى المزاح واحدة وفى الحنان أيضا.

فلنفرض أن أبى زعم أنه رب الحنان، وأنه كذا وكذا. كان أثر كلامه سيذهب بعد اللفظ به بدقائق. أما فعله.. أما ممارسته الحنان فعلا، فقد انتقلت إلى دون أن أشعر، وهأنذا أنقلها لولدى.. وهما سينقلانها إلى أولادهما.. وهكذا عبر الأجيال. الفعل هو الخالد.. هو الانتصار الحقيقى على الموت. بعد مئة عام ماذا يعنى اسم لشخص ما. وماالفرق لو كان هذا الاسم هو أحمد ابراهيم بدلا من خليل حسن..؟! أما الذى له معنى فهو أن أحمد فعل كذا وكذا وأن أثر فعله ينتقل عبر الأجيال.

ومن هنا نبعت اجابتى عن الجنود الذين يضحون بأنفسهم. لايعنى شيئا أن هذا الجندى هو فلان ابن فلان. ولكن الفعل الذى حققه بجسارته، أو باستيلائه على موقع ما من العدو هو الذى يعنى شيئا.. هذا الفعل هو الباقى.. وهو الذى سينتقل أبدا عبر الأجيال. ستظل روح الجسارة تنتقل من جيل لآخر. ستظل روح التضحية خالدة.. لأنهم فعلوها وضحوا. وبالفعل حقق الجنود ذواتهم ولايهم بعد ذلك ماجرى لهم. إنهم هنا وهم يحققون ذواتهم الفردية: كانوا يحملون على كاهلهم، عبء تحقيق ذات شعب عريق فى الحضارة.. طمست حقيقته فى هزيمة ٦٧ المروعة.. دون أن يتمكن من فعل شىء.. لذلك، كانت الجسارة وكان التدافع غير العابىء بالموت، لتحقيق ذات شعب لاتتحقق إلا فى الانتصار.

ثم.. فترت.. أعراض الاكتئاب اللعينة تغزونى.. نكتب ولايوجد ناشر.. نطبع ولايوجد موزع.

وأتذكر يوما، دخل فيه الشاعر ابراهيم رضوان إلى مكتبى فى العمل، وقدم لى صديقا.

ــ المقاتل أنسي نوفل، كان مكلفا فى حرب ٧٣ بتطهير الأرض من الألغام.

وثار فضولى لأسمع قصته. فهو بالتأكيد تعرض للموت فى كل مرة غرز فيها مجسه فى الرمال. وتحفزت لأسأله عن شعوره فى كل مرة. و... و... و... لكنه عاجلنى:

ــ لاتتصور مافعلته بنا روايتك "رجال وجبال ورصاص"

ــ ماذا..؟!

ــ ابتسم فى هدوء وقال:

كنت ضمن قوات الجيش الثالث، وتعرضنا للحصار، وكانت معى بعض نسخ من رواياتك عن الحرب وكتاب شعر لمحمد يوسف، وشرعنا فى القراءة قطعا للوقت. وكان الجنود يتشاجرون من أجل الحصول على (دور) للقراءة، مجانا فى البداية، ثم بسجائر بعد ذلك. لن يخطر ببالك مافعلته بنا القراءة.. وأنفسنا موزعة بين الأمل وبين النظر إلى رمال الصحراء.

ترى.. أى سعادة تلم بالمرء وقد علم أن كتبه عبرت معهم قناة السويس. وأى سعادة وقد ظننت أنى لم أشارك فى الحرب الوحيدة التى حدث فيها انتصار بينما شاركت فى حربين عقيمتين عامى ٥٦ و ٦٧.

ولا أهنأ بهذا الإحساس طويلا.. فأعراض "الاكتئاب الأدبى" لى بالمرصاد.

أتذكر مقولة صديقى القاص السكندرى رجب سعد السيد، ونحن نسير يوما بحذاء كورنيش الاسكندرية. وكان قد أعطانى بعضا من قصصه كتبها عن حرب ٧٣ لقراءتها ولنتناقش بشأنها. وأعجبتنى إحداها، فأثنيت على لغتها الشاعرية والمعالجة الفنية. فقال بتأثر:

ــ لقد كان لقصصك عن الحرب أثر كبير علينا.. و... و...

وكلام أخجل من إعادة ترديده. وبطوف بخاطرى ماأخبرتنى به الكاتبة سهام بيومى، عندما هاجر أحد

أصدقائها إلى أمريكا، انتقى كتابى "الأسرى" ضمن عشرة كتب حملها معه إلى المهجر.

أبدا.. خيوط الاكتئاب العنكبوتية تتدلى وتحيط بالقلم.

وفكرت فى رواية أخرى.. عن الحوذية وعربات الحنطور والكارو، وعالمهم، ومستغليهم. وكنت قد احتككت بهم فى العمل. وكتبت ملاحظاتى. وانتهزت فرصة وجودى فى مصيف جمصة فى العام الماضى وفكرت بجلاء فى خطة الرواية، وابتسمت فى نفسى: أعتقد أنها ستكون غير مباشرة، وسترضى السادة النقاد. وبعد صراع مع نفسى حول فكرتى، وحول العالم الذى أود خلقه، لخصت ماانتهيت اليه فى عدة صفحات.. ثم الاكتئاب اللعين.

قال لى صديقى الممثل أحمد عقل:

ـــ جمعتنى جلسة مع المخرج أحمد زكى والأستاذ رجاء النقاش، وجاءت سيرتك. فقال رجاء فى حقك "بقين حلوين".

أثار مكمن مواجعى بسيخ محمى بالنار. لماذا لم يترجم الـ "بقين" إلى مقال وينشره فى مجلة "المصور" التى يعمل بها.

وأذكر عندما صدر كتابى "سجناء لكل العصور" صور رجاء غلافه مع أغلفة كتب أخرى فوق مقال له قال فيه عنى: شاب موهوب.. و... و... وأنه سيعود يوما للكتابة عن أعماله.

وكل من يعد بالعودة لايعود أبدا..

ويعود الاكتئاب اللعين..

ومع ذلك فالأفكار تغزونى، ومشروعات للكتابة يموج بها رأسى، وأحاول أن أستقر على واحدة فقط، حتى يمكن أن أرى بشأنها شيئا.. ثم الفتور من جديد..

ثم محاولات مضنية لأجبر نفسى على الكتابة، مستعينا بكلماتى التى سبق أن قلتها لآخرين..

هنــا مقص

◎ ◎ ◎ ◎ ◎

فى الأسبوع الأول من نوفمبر عام ٨٢، التقيت الشاعر ابراهيم رضوان فى حفل عقد قران شقيقته، فى حوض السباحة باستاد المنصورة. وحدثنى كما هى عادته كلما لقينى فى طبع ديوان جديد له. وفى السابق أبديت استعدادى لطبع مايريد، ولكن تردده، وخشيته من أجهزة الأمن إذا طبع دون موافقتهم، حال دون إتمام شىء.

وفى تلك الليلة حدثنى عن أمراض غريبة ألمت به فى الفترة الأخيرة، وكنت أعلم أن سببها الكآبة والإحباط اللذين يشعر بهما لعدم نشره فى الجرائد والمجلات شيئا من شعره ولعدم نشره كتابا منذ تزوج. وحدثنى أصدقاؤه عن كآبته وسوء حالته النفسية. وأخبرنى هو عن تجربة جديدة له فى عمل شعر للأطفال. رحبت بالتجربة الجديدة وأبديت استعدادى لنشرها، شريطة أن يكتب كلمة ينقد فيها تصرفاته السابقة. منذ أذيع له شعر تافه فى بعض برامج الإذاعة.. وزعم أنه فعل ذلك من أجل لقمة العيش. فإذا غفرنا له ذلك.. فثمة اتهام له أنه سمح بإذاعة قصيدة فى مدح السادات فى حفل عام حضره الرجل. وكانت المعارضة ضد سياسته للتصالح مع العدو الاسرائيلى فى قمتها.

ادعى ابراهيم رضوان أن القصيدة الأصلية ليس فيها أى مدح للسادات، وأن حكمت الشربينى التى ألفت القصيدة فى الحفل هى التى أضافت المديح. قلت له دعنا من الماضى، أنت شاعر موهوب وله أشعار جيدة قبل ذلك، ولابأس أن تبدأ مسيرة جديدة.. أعلن خصومك. بتوبتك عما صدر منك. ولن يتأتى ذلك إلا بكتابة نقد ذاتى فى مقدمة الديوان الجديد.. وبهذا تبدأ عهدا جديدا حقا. ووافق على ذلك.. وسوف بعض الوقت. فأجلت الطبع حتى وصلتنى الكلمة التى وضعتها فى مقدمة الديوان.
وعلى الفور أخذت اسم قصيدة "هنا مقص وهنا مقص" لتكون عنوانا للديوان ووافق هو على ذلك.. وجعلنا نتناقش فى مسألة التمويل.. أفهمته أننى لست مؤسسة.. وليس عندى رأسمال.. وكل ماأملكه أنى سأدفع بأوراقه إلى المطبعة وسأضمنه عند الطابع حتى يستوفى حقه. بعد توزيع الكتاب. أخبرنى أنه حصل على إعلان من المطرب محمد نوح، وسوف يسدد ثمن الإعلان فور صدور الكتاب.
صدر الكتاب.. واختفى ابراهم رضوان..
ظهر بعد عدة شهور..
ــ أين ثمن الإعلان..
ــ نوح كان فى أمريكا..
ــ ألم يأت بعد..
ضحك..
سلمته باقى النسخ.. وقلت فى نفسى.. لاداعى لحجز الكتاب.. فهذا لن يضر إلا الأطفال المكتوب من أجلهم.. وتحملت تسديد ثمن الكتاب إلى الطابع.
بعد عدة شهور ، قابلت ابراهيم رضوان صدفة..
ــ ألم يأت نوح من أمريكا..؟!
ضحك..
قلت مخففا عنه..
ــ دعنا من مسألة نوح.. لقد تحملت أنا تسديد ثمن الكتاب.

ويمكنك أن ترد الدين بقسط شهرى وليكن عشرة جنيهات.
وافق.. واختفى كالعادة عدة شهور أخرى..
وعندما ظهر، لم يكن هناك داع لأن أسأله عن أى شىء، وبادرنى هو بالسؤال..
ـــ لماذا لم تعد تزورنى..؟!
وطبعا لم أرد.. هل يعقل أن أذهب إلى إنسان مدين لى، فتفسر زيارتى أنى ذاهب لطلب شىء.. لا.. وألف مرة لا.
وكالعادة عاود ابراهيم رضوان اختفاءه. وأشاع أنى منعت عنه الكتاب، وفسر هروبه منى لأصدقائه أنى كلما قابلته ضغطت عليه من أجل القضية. ويروح يبدى لهم عجبه أنه لم تعد هناك قضية. ويتساءل:
ـــ أية قضية..؟!
ومرت الأيام. وقرأت خبرا عن مرض ابراهيم بالقلب. حزنت ونويت زيارته. حتى لاأكون مقصرا فى حقه. وفوجئت به أمامى، وأنا أعبر كوبرى طلخا عائدا من عملى. ضحكت فى دهشة. فضحك مهللا:
ـــ ظننت أنك لاتغادر الفراش.
شرح لى الأمر. قصور بسيط فى الشريان التاجى. فاجأه بعد حمام سونا. كان يقوم به.
استفسرت عن حقيقة المرض. فعلمت أنه ليس خطرا. وأن قليلا من المشى، مع المواظبة على العلاج. ويكون المريض فى حال أفضل من السليم.
ولكن رسائل، توالت، باسمه. وباسم زوجته. إلى الصحف والمجلات، تنبىء بخطورة حالته المرضية. وحصل أبو خليل على شقتين فى القاهرة، وجاءه شيك مفعم بالدولارات. من أحد أمراء السعودية، ولبى عدة دعوات مع عائلته. للحج والعمرة والضيافة. وكلما قابلنى. جلجلت ضحكته. وسبقتنى كلماته:
ـــ والله العظيم.. أدبر بالكاد مصروفى.. ومصروف بيتى..!!

السجائر والقصة القصيرة

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

كنت أجلس مع القاص محمد المخزنجى، فى شرفة منزله بالمنصورة، وكانت نتيجة مسابقة للقصة القصيرة قامت بها شركة سجائر أمريكية، قد أعلنت، وفاز فيها بالمرتبة الأولى.

ضحكت، ولم أتكلم، فظننى أضحك لأن يوسف ادريس رئيس اللجنة التى فحصت القصص، صديقه، ويزوره دائما فى منزله، وبالطبع تشيع له. قال المخزنجى، بعد أن أنهى ضحكة طفولية، يتميز بها، وبراءة الأطفال فى عينيه:

ـــ لم يكن يعرف أنى تقدمت للمسابقة..

ـــ أصدقك، ولكن ليس هذا ما أضحكنى.

وشرحت له أنه لم يكن موفق لاشتراكه فى هذه المسابقة، ولم يكن ينبغى ليوسف أن يكون محكما، فوجود اسميهما، وهما طبيبان بشريان، هو تشجيع، للمواطن، بشكل غير مباشر، أن يشترى السجائر، التى تنتجها هذه الشركة، ولتذهب تحذيرات الأطباء، والهيئات العلمية، إلى الجحيم.

لم يقنع المخزنجى بكلامى، وحدث أن هاجمه، بعض زملائه من الأدباء الشبان لنفس السبب، وانتوى أن يرد على هجومهم، ولكنى خففت من غلوائه، وأنه من الأفضل ألا

يكابر فى هذا الأمر.. وعليه أن ينسى مزاعمه. أنهم حاقدون عليه، ويودون النيل منه.
وعليه أن يتذكر أن هذه الشركة، لم تقم بهذه المسابقة، خدمة للثقافة المصرية. بل الصحيح أنها تهربت بهذه المسابقة، من حق المواطن المصرى، فالقانون ينص أن تخصص أمثال هذه الشركات جزءً من أرباحها، للصرف على النشاط الاجتماعى فى مصر. ولما كانت هذه الشركات لاتود خدمة أى نشاط اجتماعى حقيقى، فهى تتهرب بإقامة أمثال هذه المسابقات، والنقود التى تدفعها فيها تخصمها من الحصة الواجب دفعها لخدمة البيئة.
بالطبع هناك صلات مشتبه بها، بين هذه الشركات، واستخبارات الدول الاستعمارية. وقد يتساءل الإنسان: ماعلاقة هذا بمسابقة للقصة القصيرة..؟! وأقول أن الاستخبارات هى عمليات جمع معلومات وتحليلها. وهاهى المعلومات التى حصلوا عليها من هذه المسابقة: عرفوا كم كاتبا من الشباب يكتب القصة القصيرة، عرفوا طريقة الشباب فى معالجة الموضوعات التى عنّت لهم. عرفوا الموضوعات التى تلح على الشباب هذه الساعة.
وقد يقول قائل، أن كتب القصة متاحة لمن يرغب. نعم هذا صحيح، ولكن بهذه المسابقة، حصلوا على عينة مطلوبة فى وقت معين، دون أى جهد من جانبهم، للحصول على هذا الكم من القصص (عدة آلاف) وتصنيفها و استقراء معلومات، قد تفيد أعداء مصر، قدمت لهم هذه الوجبة الدسمة على صينية من فضة..
ولتوضيح هذا الكلام، أذكر القصة الشائعة فى الحرب العالمية الثانية، عندما عرفت استخبارات الحلفاء، أن مصنعا فى بلد ما، يقوم بصناعة زراير لحساب الألمان. ومن هذه المعلومة، التى تبدو تافهة، عرفوا من نوع الزراير، أنها لاتستخدم إلا فى البدل العسكرية، وعن طريق عدد الزراير، عرفوا كم بدلة عسكرية، وبالتالى، عرفوا حجم الجيش

الجديد الذى يعده الألمان للهجوم، بل وعرفوا موعد الهجوم التقريبى. عن طريق حساب المدة اللازمة للانتهاء من التصنيع.
والمخزنجى المكابر لايقتنع بسهولة، ولكن من النظر إلى عينيه، عرفت أنه ربما يراجع نفسه.. ولم أشأ أن أذكره، أنه كان يستشعر حرجا، حين اشترك فى هذه المسابقة، فلم يشترك باسمه الذى نعرفه (محمد المخزنجى) ولكن باسمه فى شهادة الميلاد (محمد على ابراهيم).. حتى إذا مافاز استغلق الأمر على الناس.
ويوما، التبس علىّ الأمر، وحاولت التقدم إلى مسابقة، أقامتها شركة نفط أمريكية، فاز بجائزتها مرة الكاتب موسى صبرى. وكان رئيس لجنة التحكيم يحيى حقى. وكانت الجائزة للرواية الفائزة، تشمل ترجمتها إلى الانجليزية، وتوزيعها فى الولايات المتحدة الأمريكية، ورحلة للفائز إلى أمريكا. ويبدو أن صبرى موسى قد هوجم وقتها بسبب اشتراكه وفوزه بهذه الجائزة، فدافع عن نفسه. أنه لم يخسر شيئا، وأنه كسب للأدب المصرى، رواجا وانتشارا فى أمريكا.
فكرت أن أتقدم بروايتى "الأسرى يقيمون المتاريس". ورغم يقينى، باستحالة أن تفوز رواية مثلها تفضح سلوك العدو الإسرائيلى، بجائزة شركة نفط أمريكية، إلا أننى قلت لنفسى: فلنر ماذا هم فاعلون..؟!
وأردت أن أستطلع الأمر، فسألت صديقى القاص المرحوم محمد روميش، هل ثمة فى الأمر مايريب. وكنت أعلم مدى صداقته ليحيى حقى. غضب روميش جدا.. فيحيى حقى فوق الشبهات..
بعدها تنبهت.. وصبرى موسى أيضا فوق الشبهات.. وكلاهما يتمتع بمكانة كبيرة بين المثقفين المصريين. آه.. هنا بيت القصيد. فشركة النفط لم تحضر إلى بلادنا من أجل طيبتنا، أو سواد عيوننا، ولكنها حضرت لاستغلالنا، وإرسال

أرباحها من الدولارات إلى أمريكا. وعندما يقترن اسمان شريفان، مثل يحيى حقى وصبرى موسى باسم هذه الشركة، فمن الذى يفكر ساعتها فى الوجه الاستغلالى للشركة..؟!

لقد استخدم الاسمان للزواق.. ولتحسين سمعة الشركة أمام الجمهور المصرى. سواء وعى السيدان هذا أم لا.. ولاضير بعد ذلك على الشركة أن تصرف عدة آلاف من الدولارات على الترجمة، وعلى الرحلة. مادام سيتمتع بذلك صبرى موسى وحده. وستحرم عشرت العمال من أى خدمات اجتماعية، إقامة مساكن أو وحدات صحية.. أو نوادٍ..

مع العلم أن صبرى لاتعوزه مثل هذه الرحلة، فيستطيع أن يقوم بها عن طريق مجلته التى يعمل بها "صباح الخير".. أى أنها - الرحلة - لاتضيف له شيئا عزيز المنال.

المهم أخذ المخزنجى جائزته، وكانت ألف جنيه على ماأذكر، وعزم أصدقاءه على أكلة كباب.. ولم تشملنى الدعوة ، كالعادة، نظرا لغبائى الشديد.

أدب الأطفال.. وأنا

◎◎◎◎◎◎◎◎◎

لست أدرى على وجه التحديد،
متى فكرت فى الكتابة للأطفال
إذا مادققت الفكر، تلوح بعض
علامات هادية.
قبل العام، اثنين وثمانين بقليل،
كنت أقرأ فى سيرة "سيف بن ذى يزن".
أعجبتنى شخصية الجنية "عاقصة" التى
خطبت جنيا لنفسها، اختارت ماهواه قلبها، ولم
تعبأ بمعارضة الأهل.
فكرت أن أكتبها قصة للطلائع، ليروا مدى عظمة
العقل المصرى العربى، وتقدميته، مع أن المجتمع وقتها، كان
يرزخ تحت حكم المماليك، العسكرى، شبه الإقطاعى.
وبينما، مستمر فى القراءة، لاحت لى قصة حفر النيل
الأسطورية، التى حوتها السيرة.
تساءلت فى عجب: كيف لايوجد عمل قصصى عظيم عن
نهر النيل، مثل "جسر على نهر درينا" لإيفوأندريتش..؟!
وتصادف وقتها، أن أطلق الرئيس السادات، إحدى
تصريحاته، الضارة، والعجيبة، معا، عن رغبته فى توصيل
مياه النيل إلى اسرائيل. وجاءته الصفعة مدوية، من بيجن،
رئيس وزراء العدو، أنه لم يطلب ذلك، ولايريده..!!
وبالطبع، فنيلنا ليس للبيع، وليس محلا للمساومة. وهل

يعقل أن يسمح الشعب المصرى للمعتدين الصهاينة، أن يفيدوا من مائه..؟!. هذا الماء الذى قدسه الفراعنة، واعتبروا للنهر الذى يجرى فيه إلها "حابى". وكان من صفات الخطيب المحمودة عندما يتقدم لخطيبته، ألا يكون قد لوث مياه النيل، فى يوم من الأيام.
هل يفعلها السادات، ويوصل ماء النيل لأعدائنا، فى غفلة من الجميع..؟!
وزاد من عجبى، أنه لم تقم حركة شعبية للرد على هذا التصريح. خففت من عجبى وأنا أردد فى مرارة، كيف تقوم حركة شعبية، والنيل يُعتدى عليه كل يوم. تلقى فيه النفايات، وزالت حرمة شطئانه. والأدهى أنه لايوجد عمل أدبى، يرسخ فى وجداننا، فضل ثانى أنهار الدنيا، ومافعله فى صحرائنا المصرية.
كتبت عملا للطلائع، عن الحفر الأسطورى للنيل، لعلهم يشبون، وقد رسخت فى وجدانهم قداسة النيل واحترامه. فلا يجرؤ حاكم مستقبلا، أن يصرح بما صرح به السادات. كان العمل قصة طويلة باسم "حلوان شامة". طبعتها، وجاءت لحظة الاختبار.
أرسلت بعض النسخ، لشقيقة لى، كانت تعمل مدرسة بالاسكندرية. وضعتهم فى مقصف المدرسة. أخبرتنى أن الأولاد فى الصف الخامس والسادس، أقبلوا على شرائها، رغم طباعتها المتواضعة وإخراجها السيئ. وناقشوها فيها.
اطمأننت بعض الشىء، وطرح بعض أصدقائى من المدرسين، فى مدارس المنصورة الابتدائية بعض النسخ، ولاقت القصة نفس النجاح السابق، فأعدت طباعتها بشكل أفضل، وكمية أكبر.
وعندما جرت مباحثات "كامب ديفيد" المشئومة، وردت الأنباء عما جرى فى المفاوضات، بيننا وبين العدو الاسرائيلى. وكيف أن اسرائيل وسيدتها أمريكا، تحاولان

نهب أكثر مايمكن نهبه على حساب الحق والكرامة المصرية والعربية.

والغريب، أن المفاوض المصرى، كان دوما يلتمس لهما العذر، لقلقهما على الأمن الاسرائيلى المزعوم. ولم يتساءل هذا المفاوض، ولو لمرة واحدة، ماذا عن الأمن المصرى والعربى..؟!

كتبت قصة باسم "أمن الذئب"، ساخرا من هذه المفاوضات، على ألسنة الحيوانات. ونشرتها فى مجلة "البيان" الكويتية.

قرأت القصة صديقتى الأديبة سهام بيومى، وأخبرتنى، أنها بهذا الحوار السلس الساخر، وتلك اللغة البسيطة، على ألسنة الحيوانات، تصلح لأن تكون قصة أطفال.

أرسلت القصة لسلسلة "رؤيا" بالاسكندرية. فنشرتها فى كتيب، موجه للأطفال. وحين نجحت القصة طلبوا منى قصة أخرى. فأعطيتهم "حلوان شامة" فنشروها فى بيروت تحت اسم "حكاية الأمير سيف والأميرة شامة".

بعدها كتبت قصة تعظيم سلام. وهى عن ضابط مصري، يرفض الاستسلام للعدو الاسرائيلى فى حرب ٦٧، إلا بعد أن يؤدوا التحية العسكرية له. ونشرتها مع بعض القصص عن بعض المواقف الوطنية وحرية الرأى، فى طبعة متواضعة.

وأبلغنى الصديق الأديب كمال القلش: لماذا للطلائع.. لماذا ليست للكبار أيضا..؟! وكان يعلق على قصة "تعظيم سلام".

اشتركت بها، فى مسابقة للشئون المعنوية بالقوات المسلحة عام ١٩٩٠، وفازت بالمركز الأول. ودفعت بها إلى "الأهرام المسائى" فنشروها فى ٣/١٠/١٩٩٣.

ولكن، رغم ماصادفته قصة "تعظيم سلام" من استحسان، سواء من الكبار أو الصغار، كنت، ومازلت أعتقد، أنها والمجموعة المنشورة معها، موجهة أساسا للطلائع، ولذلك

فحين طلب منى إقليم شرق الدلتا مجموعة "تعظيم سلام" لإعادة طباعتها، بشكل جيد، لم أتردد وأرسلتها على الفور.
ولقد مارست كتابة القصة القصيرة والرواية والمسرحية، للكبار. وحين يلوح لى ماأود معالجته أدبيا، أستشعر بشكل ما، أن مالاح لى.. يكون من الأفضل، أن ينسج فى قالب مسرحى، أو قصة قصيرة.. مثلا. ونفس الشيء بالنسبة للكتابة للأطفال.. ماعن لى.. استشعرت أنه لايمكن التعبير عنه جماليا، إلا فى هذا النوع الأدبى.
وهكذا وجدت نفسى، أكتب مجموعة "الأسد ينظر فى المرآة"، التى فازت بجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٢.
واكتشفت وأنا أكتبها، أننى لم أكن أستطيع أن أفعل، لولا تمرسى فى الكتابة، وفى الحياة، لسنوات طويلة. أى أن الكتابة للأطفال - من واقع تجربتى - احتاجت لجماع خبرة الحياة، والتقنية الفنية، واللغة العربية. وأن الأمر ليس كما يعتقد بعضهم، ويستسهلون الكتابة للأطفال. أليسوا عيالا..؟!
أى من الممكن كتابة أى شىء ساذج، دون حبكة فنية، وبلغة مسطحة، ورش بعض المعلومات والنصائح الممجوجة، فتتكون عندنا قصة أو مسرحية للأطفال، وماأكثر الغثاء الذى نطالعه، من أقلام، هؤلاء الأرزقية، والذين تشجعهم - للأسف - فى غياب نقد للعملية الإبداعية والجمالية للكتابة للصغار، مجلات كثيرة، وشهيرة، فى مصر والوطن العربى.
وهذه الكتابة، الاسترزاقية، سبب جوهرى، فى انصراف الأولاد، عن القراءة الجادة، حين يشبون عن الطوق، وفى عدم تذوقهم لجماليات اللغة العربية، وللأدب والفن الراقيين.
وهذا، ضمن أسباب كثيرة، حفزنى على الاستمرار فى كتابة هذا النوع الأدبى. آملا.. أن أنتج أدبا للصغار، يتمتع بنفس القيمة الجمالية، والتقنية، التى أنشدها وأنا أكتب للكبار.
واستهوتنى، تلك الفترة السنية، من ٨-١٦، كى أتوجه إليها

بالحديث. لأنها، فى الغالب، مهملة، من معظم كتاب هذا النوع الأدبى، ولأنها سن النضوج. التى تتشكل فيها القيم وترسخ فى الوجدان، وتلازم الفتى أو الفتاة، طوال حياته بعد ذلك. ولأنى أجد فى نفسى مقدرة على الحديث إليها.

وفى كتابة هذا النوع الأدبى، أزعم أننى حققت طموحا فنيا، كثيرا مانشدته فى الكتابة للكبار. ألا.. وهو مطابقة الشكل للمضمون. أو أن يكون التشكيل نفسه هم المُعبر، أو المنبىء عن المضمون.

طاوعنى هذا فى يسر، غير متعمد، فى مجموعتى "الأسد ينظر فى المرآة" و"تمرد رئيسة البنائين". فحين لاح لى ضرورة ترسيخ قيمة الديموقراطية فى وجدان الطلائع، كى يشبوا وأنفسهم متشبعة بها، جاء تشكيل بعض قصص المجموعتين فى حواريات. ذخرت بحرية الرأى، والغلبة للرأى الجماعى. فالتشكيل الحوارى نفسه على ألسنة الحيوانات، بصرف النظر عن موضوعه، يرسخ قيمة الديموقراطية، دون الحاجة إلى الزعيق بالمضمون، أو جملة تقريرية فجة.

ونفس الشىء عن قيمة حب العمل.. فالحبكة الفنية فى أكثر من قصة، وماإستشعره أبطالها، نابعا من الموقف أو الحدث، من مشاعر جميلة عند انجاز عمل، أو إصابتهم بالإحباط حين يتعثر عمل.. الحبكة وتصوير الشخصيات تدلان على القيمة. وباقى القيم كالحب والعمل الجماعى، والعدالة الاجتماعية، والانتماء لأرض أو فكرة أو أسرة أو وطن، تعالج بتشكيل، قادر على البوح، دون الحاجة إلى تصريح مباشر، أعتقد أنه يمس نفس الصغير، وينفره، بنفس القدر الذى يفعله فى نفس الكبير، وان كان الفرق، أن الصغير قد لايصرح بذلك، وقد لايعرف ماالذى نفره. كل مافى الأمر أنه سينصرف عن العمل الأدبى، وقد يجعله هذا ينفر من الأعمال

الأدبية فيما بعد. ثم نلتفت حولنا فى دهشة ونتساءل: لماذا لايقرأ المتعلمون..؟!

وقد أكون متهما. أن لغتى، أو بعض مفرداتها، عالية بعض الشيء، بالنسبة للفترة السنية التى أكتب لها. وأزعم أن قرائى الصغار، يستنتجون معانى مااستغلق عليهم من السياق. وإذا استغلقت عليهم، سألوا عن معانيها. وأليس هذا مطلوبا، كى ندفعهم للسؤال، والسعى فى سبيل المعرفة، وأن يفهموا - دون تصريح - أن الأمور ليست سهلة دوما، وكذا الحياة.

على أية حال، هى مفردات قليلة. إن وجدت، وفى بعض الأعمال. ولا أنسى يوما، التقيت بنت جارة، تركت حينا، وسكنت حيا آخر. وكنت قد أهديتها "الأسد ينظر فى المرآة" سألت الطفلة مازحا، دون انتظار لإجابة. هل قرأت "الأسد" وإذا بها تستوقفنى فى منتصف شارع العباسى بالمنصورة، وهو شارع تجارى، ومزدحم بالمارة، والعربات من كل نوع، وتسمعنى كأنما عن ظهر قلب، وهى لم تزل فى الصف الخامس الابتدائى، قصة "النعامة الذكية"، بحماس الأطفال وبراءة تأخذ بالألباب.. ولاتسلنى عن مدى سعادتى وقتها.. وتساءلت.. ترى.. ماذا يريد الكاتب أكثر من ذلك..؟!

وأنا متهم بالكتابة فى موضوعات شائكة، أو موضوعات لايجب تقديمها للأطفال وأذكر، بعد أن طبعت قصتى الطويلة "براءة مارية القبطية" أن الأديب محمد العزونى وزملاء له فى قريته "صفط تراب"، لم تعجبهم القصة. وعلمت من العزونى أنهم لم يرتاحوا، لأنى ذكرت، جانبا من الحياة العادية للنبى، وأنه إذا كان ولابد، فلاداعى لتقديمها للصغار. ومالم يقولوه، أنهم يودون إضفاء القداسة على مثل هذه الموضوعات. أى أنهم يريدون تقديس ماليس بمقدس.

وتصوروا حال صبى يشب، وهو يخشى تناول موضوع، أو

التفكير فيه، بحجة أنه مقدس، ولايصح الاقتراب منه. عندما يكبر، يتعطل فكره، ويصبح لقمة سائغة لدعاة الأحادية فى التفكير، ولعدم رؤية كل جوانب الحقيقة، وتظل رؤيته قاصرة، ومن زاوية واحدة فقط، هى التى يريدها من صاغوا الإسلام حسب رؤية خاصة بهم، ويريدون فرضها بالقوة على الجميع.
ولقد أبدى العم الكبير، والصديق العزيز عبد التواب يوسف إعجابه بـ "مارية.." ولكنه تحفظ أيضا. فموضوعها شائك من جهة، ولاداعى لتقديمه للصغار، من جهة أخرى. إننى لم أتجاوز الحقيقة، كما جاءت فى المراجع، وأحاديث الأقدمين، وكما توافقت مع العقل.
ومن الذى قال، بوجود موضوع يجوز الخوض فيه، وموضوع آخر لايجوز الخوض فيه. ومن الذى عين بعضهم أوصياء على مايتلقى الأولاد من معارف..؟!
وأليس فى الاستجابة لهذا إذعان لدعاة الإرهاب الفكرى. معنى ذلك أنهم يحققون مايدعون له.. وهو أن الحقيقة حقيقة لأنهم قالوا بها. ومن وجهة نظرهم فقط. أليس للحقيقة أكثر من وجه. وأليس من الواجب أن نسبر أغوارها، وأن نحكم العقل. كيف تكون الحقيقة أمامى وأخشى ذكرها، أو أجتهد بشأنها، خوفا، أو تحسبا، من جماعة، أو طائفة، قد ترى عكس ماأرى، وتلوى أعنة الحقيقة لصالح ماتدعو إليه، ولاتسمح بالحوار.
أليس فى الإذعان لهم خيانة لأولادنا، وللأجيال القادمة.
مرة، كنت فى المحلة الكبرى، فى ندوة مع الطلائع حول كتابى "الأسد.." و"شجرة الدر.." وسألنى فجأة أحد الأولاد: الثعبان لايسمع. فكيف جعلته يسمع فى إحدى القصص..؟!
باغتنى السؤال، وقلت بعد تفكير: الحيوانات لاتتكلم، ونحن

نجعلها فى القصص تتكلم، فما ضر أن نجعل الثعبان يسمع وهو لايملك قناة سمعية.
لم تقنع الإجابة الولد، ولا أقنعتنى.
أحسست أن فى الأمر خطأ ما. ولست أدرى - حتى الآن - مبعثه بالضبط.
حقا، قبلنا جميعا أن تتكلم الحيوانات. ولم يتقبل هذا الصبى أن يسمع من لايملك أداة للسمع. هل حدث اتفاق غير معلن، بين الكتاب والقراء، أن نتحدث على ألسنة الحيوانات. ربما لإتاحة الفرصة للتعبير عن المكبوت الذى تحرمه الأعراف والتقاليد، أو خشية قهر حاكم ظالم، أو ماشئت من الأسباب.
أما ماعدا - الكلام - فلم يحدث بشأنه اتفاق بعد.
أم أن الولد، أدرك بذكائه، أننى بجعل الثعبان يسمع، قد أفصحت عن جهلى، ولو كنت أعلم ماوقعت فى هذا الخطأ.
سألنى الأديب السوهاجى محمد عبد المطلب: لماذا أكتب قصصا على ألسنة الحيوانات، ولماذا يفعل ذلك كتاب الأطفال. قلت بسرعة: جعل الحيوانات تتكلم وتفكر، يثير الدهشة.
قد يكون صحيحا، ولكنه، بعد أن فكرت قليلا، ليس كل شيء.
قرأت رأيا مؤخرا، لأحد المهتمين بأدب الأطفال، أنه ينبغى، الانصراف فى عصر الفضاء، عن قصص الحيوانات.
هل القضية أن تدور القصة، فى جو الفضاء، حيث الأقمار الصناعية والطبيعية، وأن يكون بطل القصة طيار آلى، أو شخص يستخدم الحاسوب، وأن نحيل الأسد والقط إلى المعاش.. أم أن للقضية وجها آخر.
ان الشيء الهام - كما أعتقد - هو القيمة التى يحفل بها العمل، سواء كان البطل رجل فى الفضاء، أو نمر فى غابة.
ثم أن للقضية وجها آخر..
الحيوانات تتصرف بفطرتها، ونحن نصدق أفعالها. هل

صادفت حصانا يكذب، أو دجاجة تسرق. كل ماتأتيه الحيوانات صادق، لازيف فيه، ومسخر لهدف واحد هو البقاء.
وعندما يستنطق الكاتب الحيوانات، فهو يقترب من الصدق، وينشد الفطرة، وهى لاتختلف كثيرا عن فطرة الانسان.
واستخدام الحيوانات فى الأعمال الأدبية والفنية، يوحى، أننا مهما بلغنا من تقدم فى مجالى العلم والتقنية، فينبغى ألا نغفل عن الفطرة الأولى. أو نعارض ناموس الحياة على الأرض، وقوانين الطبيعة. وكل من فعل ذلك تعرض للخسران. قطعوا الغابات، فظهرت إشكالية تصحر الأرض الزراعية، واختل المناخ. أبادوا أنواعا من الحيوانات، فظهر خلل فى التوازن البيئى.. وهذا ضار بالانسان. لقد تعلم الانسان الطيران من الطيور. ومن ملاحظته لبعض الحيوانات، اخترع الردار. ومن ملاحظته للملكتين الحيوانية والنباتية، عرف معنى التوازن البيئى. وكشف كثيرا من أسرار علم "الحياة" "البيولوجى". وحاليا يعكف العلماء على دراسة جهاز المناعة لدى سمك القرش، لأنه لايمرض أبدا.
ومهما ارتقى الإنسان، واخترع من أجهزة ألكترونية، وجاب الفضاء، فلن تنقطع حاجته لدراسة تطوره البيولوجى، ولاتوجد حتى الآن وسيلة، أفضل من الحيوانات، فى الرد على الأسئلة التى تنبثق كل يوم.
فكيف يتخلى الأدباء عنها..؟!
ان استخدام الحيوانات فى الأعمال الأدبية والفنية، قيمة فى حد ذاتها، وإذا كنا نستنطقها بأفكارنا، ونجعلها تشعر بمشاعرنا، فحذار أن نجعلها تسلك، مخالفة حقيقتها، وحذار أن تخالف ناموس الطبيعة، وإلا تعرض الصدق الفنى والموضوعى للاهتزاز وناقضت ماتود إرسائه من قيم.
وفى نفس الندوة بالمحلة الكبرى. ربط الأولاد. بين دفاع

شجرة الدر عن استقلال مصر، وبين كفاحنا اليوم ضد اسرائيل.
وأثار دهشتى أن السائلين تدور أعمارهم حول العاشرة صعودا وهبوطا بسنوات قليلة. أى لم يعاصروا نكسة ١٩٦٧ أو انتصار ١٩٧٣ على العدو الاسرائيلى. فمن أين أتاهم الحس الوطنى.. والعداء الفطرى لإسرائيل..؟!
لا أستطيع أن أجيب بيقين على هذا السؤال.
كل ما أستطيع قوله أن طفل اليوم، والإمكانات المتاحة أمامه للمعرفة، أفضل بكثير جدا من الأجيال السابقة. يكفى أن يضع إصبعه على زر فيشاهد مايحدث فى الدنيا كلها فى ثوان.
فكيف لطفل، هذا شأنه، أن يطلع علينا من يقول أنه لايجوز أن نقدم له كذا، وينبغى أن نقدم له كذا.
أعتقد أنه لاينبغى أن نخفى شيئا عن طفل اليوم، وأن نقول له الحقيقة، مهما عدها بعضهم شائكة. وإلا انحشرنا فى زمرة أغبياء وزارة التربية والتعليم، فالمشرفين على تزويد مكتبات المدارس بالكتب، يمنعون اقتناء روايات نجيب محفوظ، بحجة أنها عامرة بالجنس.
ومافول هؤلاء السادة، عن "الغرز" الملاصقة، لأسوار المدارس الثانوية والإعدادية، بها أجهزة للفيديو، تبث أفلام الجنس لقاء ثمن كوب من الحلبة أو الشاى.
هل يعجبهم هذا الجنس، ولايعجبهم جنس روايات نجيب محفوظ، إن وجد، والمقدم بشكل جميل، وكضرورة من ضرورات الحياة، يجعلنا نحبها، ونقبل عليها، ونتذوق رحيقها فى سعادة.
وثمة فائدة أخرى من الكتابة للطلائع، فضلا، عن التقنية التى طاوعتنى، وسواء وعيت أم لا، فبالتأكيد تركت أثرها عند الكتابة للكبار، أفدت من قراءة المراجع المختلفة. فمثلا حين شرعت فى كتابة "عنقودة وسمرة" وهى رواية عن

تجميع القرآن، "تحت الطبع"، وجدت المعلومات المتوفرة قليلة، وماأحصل عليه لابد من توثيقه جيدا.. فالكتابة هنا عن أثر هام. أخطر كتاب فى حياة المسلمين على مدى خمسة عشر قرنا من الزمان.. والأعجب أنه لايوجد عمل أدبى عنه.. دعك من التعريفات الساذجة، التى تحشو رأى الصبية بالمعلومات.

نقبت فى مراجع، لم أكن لأنقب فيها، لولا شروعى فى كتابة الرواية، واكتشفت مدى عظمة جامعى آيات وسور القرآن. فلابد قبل تدوين آية من شاهدين ومن نص مكتوب. أى توثيق بالمعنى العلمى المتعارف عليه اليوم. واكتشفت مدى عظمتهم فى استخدام العقل.. فلم يركنوا لم صرح به القرآن، ان الله خلق الذكر وأنه سوف يحفظه، ولم يفت فى عضدهم عدم وجود آية أو حديث يوصى بجمع القرآن، ولكن حكموا العقل فيما رأوه حادثا أمامهم. حفظة القرآن يموتون فى المعارك المختلفة. ومع الوقت سوف يقل عدد الحفظة. لذلك لابد من تدوينه، بين دفتى كتاب، يكون متاحا لمن يطلبه.

واستخدموا العقل مرة أخرى، حين تعددت المصاحف، واختلف التدوين بها، باختلاف القراءات، ومأدى إليه ذلك من اختلاف فى التفسير، قد يستفحل أمره فى قادم الأيام. اذن فلابد من توحيد المصاحف فى مصحف واحد، لايختلف بشأنه الناس، وكان لهم ماأرادوا..

هاتان القيمتان.. التوثيق واستخدام العقل.. حفزاتانى على كتابة هذه الرواية.. وهأنذا أجد من يطلب منى، توجيه هذا العمل للكبار، وسوف يقرأها من يود من الصغار، وبالفعل نشرت فصولا منها فى مجلة "أدب ٢١" فى مارس ٩٦ "والأهرام المسائى" فى ٩٦/٤/٢٨.

ومع أن كل عمل له دوافعه التى تحفز الكاتب على تأليفه، الا

أن ثمة دوافع عامة تحفز الكاتب على الكتابة فى هذا النوع الأدبى.

الأولاد.. قادة المستقبل.

والزرع فيهم مثمر..

فلا أقل من أن نحاول أن نغرس قيما مثل الديموقراطية.. وحب العمل.. والعدالة الاجتماعية، وأسسا للوطنية، مثل تطهير الأرض العربية من الدنس الإسرائيلى.. وعدم التبعية للأمريكان..

راجين أن يثمر هذا وطنا حرا، وشعبا بانيا للعدالة الاجتماعية. وصرحا اقتصاديا شامخا.. وانسانا يتمتع بالحق فى الاختيار.

وأعتقد أن أى كاتب أطفال، لن يستطيع أن يقوم بمهمته، على خير وجه، مالم يحب الأطفال، حبا حقيقيا، لاادعاء فيه.

حديث خاص أجريته مع نفسى

◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎ ◎

نحن الآن فى غرفة، فى بيت الكاتب فؤاد حجازى، فى مدينة المنصورة، وقد تلاحظ أن بها مكتبة، وتستعمل، للمعيشة، ولاستقبال الضيوف.

ـــ أستاذ فؤاد.. ألا تلاحظ أن مكتبتك ليست عامرة بالكتب

ضحك وقال:

■ المكتبة التى تراها أمامك شرعت فى تكوينها حديثا. ذات يوم احتجت إلى المال، فعرضت للبيع مكتبتى على صديق قديم يتاجر فى الكتب، واتضح فيما بعد أنه مفلس مثلى، وايراده يكفى حاجته بصعوبة، وهكذا ضاعت كتبى دون مقابل تقريبا.

ـــ لقد ساعدت كثيرين على طبع كتبهم.. فلماذا لم تطبع كتب شقيقك عادل حجازى..؟

■ كثيرون لايعلمون أن شقيقى الأكبر روائى موهوب، كتب ثلاث روايات، أعتقد أنها لو نشرت لحققت لصاحبها كسبا أدبيا كبيرا. وعندما فازت رواية "المخاض" بجائزة نادى القصة منذ سنوات، اتفقت معه على نشرها، وأن يساهم فى النفقات بقيمة الجائزة، ولكنه لم يف بوعده. وحين دفعت بها إلى المطبعة فى وقت لاحق كانت الأسعار

قد تجاوزتنا، وعجزت ميزانيتى الضئيلة عن طبعها، فهى رواية طويلة نوعا. ويوما تيسر لى بعض المال وشرعت فى طبعها.. ولكن.. حدث أن قبض على بسبب كتابى "سجناء لكل العصور"، ونبه رجال أمن الدولة على أصحاب المطابع بعدم طبع أى كتاب لى، فتوقف الطبع، وخسرت العربون.
وأعتقد أنه لولا تلكؤ أخى فى طبع الرواية من البداية لنشرت، ولكنه يعتقد مثل كثيرين غيره، أن مهمته تنتهى بعد تأليف كتابه.

— هل تستطيع أن تضرب لنا مثلا آخر..؟

■ صديقى الدكتور محمد المخزنجى، كاتب موهوب، يمتاز بنزعة انسانية رقيقة، استفاد كثيرا من عمله كطبيب، ومن نشأته فى بيئة شعبية. كتب أكثر من مجموعة قصصية. عرضت عليه عدة مرات طبع مجموعة قصصية له ضمن سلسلة "أدب الجماهير"، ومازال مترددا حتى الآن.

— هل له مطالب معينة..؟

■ مطبوعاتنا كما تعلم متواضعة، ورق جرائد وأغلفة بسيطة، ولم نتعد ألف نسخة من كل طبعة إلا فى حالات قليلة.. كما أننا نوزع كتبنا بالأيدى على الأصدقاء. ومن حق أى كاتب أن يحلم بطبع أعداد كبيرة من مؤلفه، وأن يوزع كتابه على نطاق واسع، وأن يطبع على ورق جيد، ويخرج كتابه إخراجا فنيا رائعا..
اننى أتمنى لكل كاتب أن يحقق حلمه.. ولكن.. ألا ترى أننى لو ظللت أحلم فقط لانتظرت ربع قرن دون أن أطبع شيئا.

— عفوا.. تقول ربع قرن..

■ نعم سيدى.. بدأت محاولاتى الأولى فى الكتابة عام ١٩٥٦.. وهانحن الآن على أبواب ١٩٨١.

— ألا تعتقد أنك تبالغ بخصوص صديقك المخزنجى..؟

■ فى الحقيقة لا أبالغ.. ولكن للموضوع جوانب أخرى.

— أية جوانب..؟

■ صديقى الدكتور محمد المخزنجى تعدى الثلاثين الآن، وهو يعتقد أن من حقه فى هذه السن، أن يصدر كتابه بشكل لائق عن طريق إحدى دور النشر، ولاشك أنه محق فى هذا.. ولكن من جهة أخرى.. ألا يعلم أنه لو ظل منتظرا "الشكل اللائق" فقد يتعدى الأربعين أو الخمسين دون أن يعرفه أحد.

— ذكرت شيئا عن الحساسية.

■ نعم.. لقد وعده كاتب كبير بتقديمه. ولكنه لم يفعل.

— هل تجد حرجا فى ذكر اسم هذا الكاتب..؟

■ الدكتور يوسف ادريس أبدى اعجابه بقصصه، ووعد بتقديمه أكثر من مرة ولم يفعل، وأعتقد أن يوسف ادريس قد خدعه.. ولن يقدمه.. بل لن يقدم أحدا على الاطلاق.

— من أين لك هذا الاعتقاد..؟

■ أحب أن أذكر أولا أن يوسف كاتب لن يتكرر، وتعجبنى أغلب أعماله، ولكنه للأسف لم يقدم شيئا يذكر للأدباء الجدد. وكان باستطاعته أن يفعل الكثير. قدم من قبل نوال السعداوى وصنع الله ابراهيم.. ثم استولى عليه اعتقاده أن آخرين يودون استغلال اسمه، والتسلق على جداره، فأحجم عن تقديم أحد. لنفرض أن اعتقاده هذا صحيح.. ماذا لو كان دوره الوحيد فى الحياة الأدبية أن يستغل آخرون اسمه لتكون لهم أسماء. أليس من الجائز أن هذا الدور - لو تم - هو الذى سيبقى منه للتاريخ. هل يستطيع هو أو غيره أن يتنبأ بخلود أى عمل أدبى له..؟.. لايغرنك بالطبع شيوع أى عمل فى وقته. للتاريخ أحكام أخرى، وللزمن مصفاة عجيبة، لايستطيع أحد التكهن بمواصفاتها.

— ماذا تود من أخيك عادل ومن صديقك المخزنجى أن يفعلا..؟

■ فى بلادنا مصر لايكفى أن تكون كاتبا. موهبة الكتابة ليست كافية، وينبغى أن توجد بجانبها موهبة النضال، على

الأقل النضال من أجل نشر ماتكتب. ان الكُتاب على شاكلة عادل والمخزنجى، يطمحون إلى التغيير بكتاباتهم، فكيف يتم التغيير إذا كانت أعمالهم لاترى النور..؟.. ولماذا يتعبون أنفسهم ويبدعون..؟..
والظاهرة الجديرة بالتأمل أن هؤلاء الكتاب لايكفون عن النقد. هم أخصائيون فى نقد كل شىء. الوضع الاجتماعى.. طريقة الحياة المصرية.. التخلف.. وإذا دعوت أحدا منهم ليشترك فى عمل ما أحجم.. حتى لو كان هذا العمل هو نشر كتاب له..أليس هذا عجيبا..؟

— فى المدة الأخيرة لم تنشر أعمالا فى الصحف والمجلات المصرية.. فلماذا..؟

■ سل القائمين على أمور الأدب فى الصحف والمجلات. أرسل لهم بين حين وآخر أعمالا أدبية.. وان كنت أعلم أنهم لن ينشروها.

— فلماذا اذن تتعب نفسك..؟

■ لسببين.. أولا حتى لايجرؤ أحدهم على التبجح فى وجهى أن حرية النشر مكفولة للجميع.. وثانيا.. حتى لايتهمنى ضميرى بالتقصير فى حق نفسى أو فى حق قرائى.

— ولكننا نعلم أن لك أصدقاء.

■ فى ظروف كهذه.. لايساعدون أحدا.

— هل ذهبت إلى صديقك القديم صلاح حافظ..؟

■ كتبت إليه عندما أصبح رئيسا لتحرير "روز اليوسف". واعتبرت صمته ردا كافيا. ومواقفه الأخيرة صدتنى عن زيارته.
بالطبع لايوجد شىء شخصى بيننا. ذات يوم احتدمت معركة فكرية بين صلاح عيسى وبعض الكتاب التقدميين من جهة، وبين يوسف السباعى وأنصاره من جهة أخرى، من أجل مقولة كتبها صلاح عيسى، وهى أن حرب أكتوبر شنت ومصر تقف فى اطار المعسكر الإمبريالى، ولم تشن ومصر

تقف فى معسكر الشعوب. وهاجت الدنيا وماجت. احتدمت المعركة. أغلقت مجلات. وتم اجتزاز اصحاب الفكر التقدمى من مجالات الاعلام المختلفة. وإذا بالأستاذ صلاح حافظ يفاجىء الجميع بحديث فى مجلة "رزو اليوسف" مع يوسف السباعى. واستمر نشر الحديث عدة أعداد. أتاح للرجل خلالها فرصة نادرة ليظهر فى ثوب غير ثوبه. ثوب المؤمن بالديموقراطية والتقدم.

— كذا..

■ نعم.. فماذا يمكن أن نسمى هذا..؟.. وأعترف لك.. أنى بعد هذه الأحداث وغيرها تكونت عندى قناعة. أن جميع القياديين فى مؤسسات السلطة يدينون بالولاء لها. دعك من الاختلاف فى الجزئيات. المهم هو الجوهر. خذ عندك مبادرة السادات بزيارة القدس. أيدها صلاح حافظ. من أقصى اليسار. وأيدها ثروت أباظة من أقصى اليمين. فماذا يعنى هذا..؟.. يبدو أنك غير مقتنع بكلامى.. سأقص عليك واقعة شاهدتها بنفسى.. ذهبت إلى اتحاد الكتاب للإدلاء بصوتى فى أول انتخابات لتجديد نصف أعضاء مجلس الإدارة. ووضعتنى المصادفة إلى جوار عبد الرحمن الشرقاوى. ومع أنى لست فضوليا. فقد حانت منى التفاتة إلى ورقة عبد الرحمن الشرقاوى. وجدته وضع علامة صح أمام اسم ابراهيم الوردانى.. تصور.. الوردانى.. ولحظنى الرجل فدارى بيده ورقته. وسحبت نظرى خجلا وعجبا.. أليس هذا هو الشرقاوى اليسارى.. التقدمى.. الـ.. الـ.. هاهو ينتخب الوردانى.. هل يختلف اثنان على أن الوردانى على يمين اليمين..؟

— أليس من الجائز أن صداقة خاصة ربطت يوسف السباعى بصلاح حافظ جعلته يفعل مافعل..؟

■ اننى لاأقيم الأمر بناء على تصرف واحد.. مارأيك ومصر كلها مجمعة على إلغاء الاتحاد الاشتراكى وانشاء

أحزاب أن يكتب صلاح حافظ مقالا فى "روز اليوسف" بعنوان "مصر تتحدث عن نفسها" وصف فيه مظاهرة هزيلة قام بها بعض أعضاء الاتحاد الاشتراكى المتمسكون ببقائه، أن هذا هو صوت مصر.. انه هنا فضلا عن تخلى ذكاؤه عنه فى معرفة اتجاه الريح فقد تخلى هو عن أفكاره كماركسى يؤمن أن من حق كل طبقة أن تنشىء حزبها المستقل.

ـــ لعل المسألة خلافا فى الرأى..؟

■ عن أى رأى تتحدث سيدى.. ان الموضوع كما أراه، الحفاظ على أمن شخصى ومورد مالى، لاأكثر ولاأقل.

ـــ ننتقل لموضوع آخر لو أذنت لى..

■ تحت أمرك.

ـــ لماذا لم تشارك فى أى نشاط لاتحاد الكتاب..؟

■ لأننى لم أدع إلى ذلك.. ولأنه - فيما أعلم - لايوجد نشاط له..

ـــ أنت تحضر اجتماعات الجمعية العمومية بانتظام، فلماذا لم تثر هذا الموضوع..؟

.. أغرق الكاتب فؤاد حجازى فى الضحك حتى دمعت عيناه.. ثم قال:

■ ان اجتماعات الجمعية العمومية تمثيليات هزلية متقنة.

ـــ كيف..؟

■ كثيرا ماطلبت الإذن بالكلام، فلم يسمح لى.. هذه هى ديموقراطية ثروت أباظة. وإذا مانجح يسارى فى الكلام، واحتدم النقاش، سرعان ماتفض الجلسة لصلاة الجمعة وأرجو أن تلاحظ ذلك جيدا، دائما تكون الاجتماعات فى أيام الجمع، وبعد الصلاة، لايفتح باب المناقشات، وتعلن القرارات المعدة سلفا، أو توزع على الأعضاء مطبوعة فى مرة تالية، وهكذا ينصرف الأعضاء دون أن يفعلوا شيئا.

ـــ ألا يغفر للاتحاد قيامه بواجبه كنقابة نحو الأعضاء..؟

■ للأسف الشديد.. حتى هذا لم يحدث.. فأيام حوادث ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧ اعتقلت مع عدد من الأدباء واليساريين، وكتب الأدباء لرئيس الاتحاد يعلمونه بما جرى لهم. لم يتحرك أحد. مع أن كافة النقابات الأخرى أوفدت مندوبين للاطمئنان على أعضائها فى السجن، وأحضرت لهم أطعمة وملابس، كما أرسلت مساعدات مالية لذويهم، هذه المساعدات الانسانية قدمت للجميع دون اعتبار لأرائهم السياسية.. ترى.. ألم يكن أولى باتحاد الكتاب أن يكون راعيا لأبنائه.

ان كل مافعله اتحاد الكتاب هو ارسال برقيات التأييد للسلطة الحاكمة.. هكذا.. دون اجتماع لجمعية عمومية، ودون معرفة آراء الأعضاء. ولقد دأب الاتحاد على هذا السلوك فى مناسبات تالية.. فيالها من ديموقراطية من رجال المفروض فيهم أنهم أول المبشرين بها.. وبالتالى أول من يمارسها..

هل تتصور أنه حتى الآن لايقوم أعضاء من الاتحاد بأعماله الإدارية، ويستوردون لنا رجالا من المجلس الأعلى للفنون والآداب ومن وزارة الثقافة.

— لماذا..؟

■ يبدو أنهم لايثقون بالأدباء.. حتى من صنائعهم.

— ولكن.. كيف يسلكون هذا المسلك وهم يتمتعون بأغلبية فى الجمعية العمومية..؟

■ أعتقد أن بعض اللوم يقع على عاتق أصدقائنا التقدميين.. فكثير منهم لايريدون الانضمام إلى الاتحاد ويستمرئون النقد من مقاهيهم.. فكيف يتغير الحال..؟

— هل لسيطرة اليمين على أجهزة النشر والاعلام دور فى ذلك..؟

■ بالطبع.. فهم يرشون أصدقاءهم بالنشر لهم. ويمنعوننا فى الوقت نفسه من النشر، ولاحظ مسألة الـ

"منع" هذه، لأنهم اتهمونا أننا منعناهم فى الماضى من النشر.

— وماقولك فى هذا الاتهام..؟

■ ليس صحيحا.. لسبب بسيط.. هو أننا لم نسيطر على أجهزة النشر أبدا.

— اننى أستطيع أن أذكر لك أسماء بعينها.

■ ان هذه الأسماء أعرفها جيدا.. وهم ناصريون أو ماركسيون سابقون.. وكلاهما يخشى خياله. وهكذا ترى أن الماركسيين لم يسيطروا أبدا.

— ألا يعلمون الحقيقة..؟

■ بالطبع يعلمون.. ولكنهم يغالطون بهدف الإساءة إلى الماركسيين.

— على أية حال لاداعى لأن نظلم الماركسيين السابقين، فقد كانوا مغلولى الأيدى.

■ كيف ياسيدى..؟.. ان أول قرار اتخذه محمود أمين العالم عندما كان رئيسا لمجلس ادارة أخبار اليوم، هو فصل زميله رفعت السعيد منها (أحد قادة حزب التجمع الآن).. وهل تعرف من الذى عينه بعد ذلك..؟

— من..؟

■ هيكل فى الأهرام..

— ومع ذلك فمحمود العالم يحمل لواء الثورية الآن..

■ أى ثورية هذه وهو قابع فى باريس..؟.. من يرغب فى المعارضة فليفعل هنا. ماذا فعل سيادته عندما كان رئيسا لمجلس ادارة أخبار اليوم من أجل الآخرين..؟

— أعلم أنكما كنتما صديقين فى الواحات الخارجة وله آراء سارة فى قصصك وقتها؟ ألم يكتب عنك؟

■ لا عنى ولا عن غيرى.

— لاتنكر بعض حسناته.. لقد عين جمال الغيطانى فى الأخبار يوم أن كان كاتبا ناشئا.

■ نعم فعل.. ولو كان الغيطانى منضما لتيار سياسى، لتغير الأمر.

ـــ ألا ترى أن ماجاء بكلامك عن الدكتور يوسف ادريس غير منصف..؟

■ أحب أن ألقى بعض الضوء على ظاهرة خاطئة عششت طويلا، ومازالت، فى حياتنا الثقافية وهذه الظاهرة هى تلك الهالة التى يصنعها بعضنا وتحيط بكاتب أو آخر. وبالطبع لايوجد كاتب فى العالم، أعماله كلها على مستوى واحد من الجودة، لابد من وجود تفاوت أو تمايز بين عمل وآخر، وبينه وبين غيره من الكتاب. ولكن الهالة التى تنسج حول كاتب بعينه تحجب رؤية هذا التفاوت بل أحيانا تكون عائقا عن ابداء رأى مخالف لما تضمنته. أعلم أن كلامى ليس واضحا بما فيه الكفاية. سأضرب لك مثلا.. ذات يوم طالعنا الأستاذ رجاء النقاش بمقال عن الطيب صالح بمناسبة طبع روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" فى "الهلال". واعتبره أعظم روائى فى العالم العربى. وعندما صدرت الرواية تضمن على غلافها الأخير آراء لنقاد عديدين من الوطن العربى.. قال جبرا ابراهيم جبرا "انها أحسن رواية ظهرت فى الأدب العربى على الإطلاق". انتبه هاهى الهالة تحيط بالطيب صالح. وعندما قرأت الرواية لم تعجبنى. اللهم إلا امتياز الطيب صالح بجملة تلقائية جميلة، ثم لاشىء بعد ذلك. وصارحت بهذا صديقى الأديب محمد روميش، فنظر إلى مدهوشا. وجادلت أصدقاء آخرين، ووجدت نفس الدهشة. لقد أمسكت الهالة بتلابيبهم؛ حتى أنهم لايودون سماع رأى يحتمل الصواب والخطأ. انهم يرفضون المبدأ ذاته، مبدأ مناقشة شىء أصبح مفروغا منه. مع أنه لاشىء يفرغ منه ابدا. أى أن الطيب أصبح الخطوة التالية بعد نجيب محفوظ، وأن القمة معقودة له فى المستقبل. قلت أحاورهم: رواية بناؤها مفكك. شخصياتها غير متماسكة. بطلها

الرئيسى هلامى، يغلفه ضباب كثير. ولم أستطع هضم فكرة الانتصار على حضارة الغرب بنكاح نسائه. وماذا يعنينى أن يظل الطيب صالح يثبت لى في هذه الرواية وفى غيرها من رواياته، أن المرأة السودانية أعظم أمرأة تجيد الغنج فى العالم، وأنها قادرة بغنجها أن تسمع بلدا مجاورا لبلدها. جميل أيها السادة.. إذا لم يعجبكم رأيى فأنتم أحرار. لقد كنت على استعداد لأن أشيد بهذه الرواية لو صدرت فى الثلاثينيات من هذا القرن. وضربت لهم مثلا برواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم. رواية بناؤها الفنى هش، ومليئة بالخطابة والأفكار الخاطئة. ولكن الحكيم فعل هذا فى وقت لم يكن للرواية العربية وجود راسخ. فعدت انجازا كبيرا. ولقد نجح الحكيم فى هذه الرواية فى التعبير عن روح الشعب المصرى فى قطاع من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة، وهذا سر نجاحها. بل وأعتقد أن هذا سر نجاح يوسف ادريس أيضا، ولكن فى قطاع آخر، لقد عبر يوسف عن الروح المصرية في قطاع الفلاحين، وغفرت له أخطاؤه فى حق اللغة العربية.

ـــ ألم تتحسن لغة يوسف ادريس فى أعماله الأخيرة..؟

■ للأسف فإن روايته الأخيرة "نيويورك ٨٠" مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية، ولم يتكلم أحد، ولن يتكلم أحد، فمن يجرؤ علي اختراق الهالة التي تم نسجها حوله بإحكام. وأحب أن أضيف أن عمليه الأخيرين ليسا فى مستوى أعماله السابقة، فروايته التى أشرت إليها، مليئة بالوعظ والإرشاد، وشخصيتها الرئيسية مخلخلة البناء، وذاتية، وجاءت نهاية الرواية أشبه بنهايات الأفلام المصرية الرخيصة. وقصته التى عاد بها إلى الكتابة "النملة" متواضعة المستوى سواء فى المعالجة، أو فى الفكرة المستهلكة التى تضمنتها، ولم يستطع أن يرقى بها إلى معنى أعم وأشمل.

ألمح احتجاجا فى نظراتك.. جميل.. سأعود لصديقنا الطيب صالح. ولكن اسمح لى بقصة طريفة قبل العودة.
ـــ تفضل..

■ عندما كانت أم كلثوم حية تغنى، جرؤت كاتبة فى مجلة "صباح الخير" على ماأذكر، وأعلنت أن صوتها خال من الحنان. وفى الحال انبرت جميع الأقلام، لم يشذ أحد. اتهموها بالعجز عن التذوق.. وبما شئت من الصفات، ولم يبق إلا اتهامها بالعمالة لجهات أجنبية. وصدق أو لاتصدق، عادت المسكينة بعد قليل تشيد بصوت أم كلثوم.. هل هذا معقول..؟.. هل من المعقول أن آراء الجميع واحدة فى صوت أم كلثوم، وفى أعمال الحكيم.. وفى.. وفى..
فيم اختلاف الأقوام إذن.. وفيم تعدد المذاهب.. وفيم اختلاف الطباع.. وفيم تعدد الثقافات.. وفيم.. وفيم.. لو كان الكل واحدا ماكانت العين بكت.
إنها الهالة ياعزيزى. ينسجها بعضنا، ويقع الجميع أسرى ضوئها الساطع، ومن جرؤ على الفكاك سقط فى الثقب الأسود.
اسمح لى بدقيقة أخرى.. فاتن حمامة.. أعتقد أنها ليست ممثلة عظيمة، ان صوتها عبقرى فى استدرار العطف والشفقة. ان صوتها فى أى شخصية تلعبها يثير عطفك. ولكن لأن "الهالة" أحاطت بها منذ نعومتها، فقد جنت على جيل كامل من الممثلات، ماجدة بالغت - بطريقة كاريكاتورية - فى محاولة استدرار الشفقة بصوتها المتهدج. آمال فريد وأخريات اختفين لأنهن اعتقدن أن فن التمثيل هو اثارة العطف والشفقة بأصواتهن.
أعود لصديقك الطيب صالح. لقد قرأت أعماله التالية لـ "موسم الهجرة إلى الشمال"، وأصدقك القول أنى عجزت عن تكملة القراءة لإغراق المؤلف فى العامية السودانية. أحسست بحاجتى لقاموس لأعرف معانى الكلمات. فأى

مستقبل أمام كاتب كهذا فى العالم العربى، إذا استمر على هذا المنوال..؟

على أية حال، ليس هذا هو المهم، قد أكون مخطئا فى تقييمى له، وقد أغير رأيى فى مرحلة تالية، فلست أعترف بأحكام نهائية على الاطلاق. ولكن المهم ياعزيزى أن كل ماقرأته عن الطيب صالح - حتى الآن - يشيد به وبأعماله. ألا يوجد صوت واحد مختلف. للأسف لم أعثر عليه، وأرجو ممن يعثر عليه أن يدلنى إليه.

— لكن.. ألم يتعرض يوسف ادريس للهجوم أحيانا..؟

■ نعم.. تعرض من جانب صبية الرجعيين والسلفيين. ان ماأقصده..

— أفهم ماتقصده.. ولكن هل يوسف هو الوحيد الذى يخطىء فى اللغة العربية..؟

■ بالطبع لا.. فتحى غانم فى آخر أعماله "الأفيال" مثلا، ارتكب أخطاء لغوية أيضا.. ولكنك لن تسمع شيئا عن ذلك، لأنه تحيط به "هالة".

— وأنت.. ألا تخطىء..؟

■ بالطبع أفعل.. ولكن أخطائى تقل كلما تقدمت فى الكتابة، بعكس رجل كنجيب محفوظ، بدأ منضبطا وأصبح منفلتا.

— وهل تعرض لك أحد بسبب أخطائك..؟

■ انهم لم يتعرضوا لى فقط.. بل كادت تكون سمة مميزة لى، لاينسى أى ناقد أن يذكرها كلما كتب عن أعمالى..

— كيف..؟

■ أحب أن أذكر لك أنه لاتحيط بى "هالة" من النوع الذى ذكرته، ولكن ان شئت الدقة فأنا أتمتع بـ "هالة" مضادة لاتعصمنى من الآراء المهاجمة.

— تقول كادت تكون سمة.

■ نعم.. سأوضح لك الأمر.. عندما كنت فى مؤتمر الأدباء الشبان بالزقازيق عام ١٩٦٩، أخبرنى الأديب محمد صدقى أنه قرأ مجموعتى القصصية "سلامات"، وأنه سيكتب عنها أثناء انعقاد المؤتمر.. وجعل يناقشنى فى بعض ملاحظات عنت له. وفجأة سألنى: ماذا قال المقال الأخير عنك بخصوص اللغة، فأجبته أنه ذكر أنى أسأت التعبير فى بعض الجمل. وبعد يومين طالعت مقاله فى جريدة "الجمهورية" وبه نفس الملاحظة عن "سوء التعبير".

— وهل مازالت هذه التهمة تلاحقك..؟

■ لحسن الحظ.. سقطت بالتقادم.

— هل كان الاتهام صحيحا..؟

■ كنت فى بداية حياتى أعانى من دسنتاريا أميبية مزمنة. تحولت الآن إلى التهاب مزمن فى القولون، وبشىء من الصبر وتنظيم تناول الطعام أحاول التغلب على متاعبى. ولكن فى البداية، كنت بسبب المرض أفقد صبرى بسرعة. فلا أستطيع التأنى فى مراجعة ماأكتب عدة مرات.. وبالطبع كانت تفلت منى كلمات غير التى قصدت التعبير بها. والآن أرجو أن أكون قد أتقنت الصبر وتعلمت كيف أتأنى على الكلمة حتى تأتى فى موضعها.

— هل أضر يوسف ادريس غيره بأخطائه اللغوية..؟

■ لأن أحدا لم ينبهه لتلاشى تلك الأخطاء. فقد تعلم الشباب فنه وأخطاءه أيضا.

— هل "الهالة" ذات صبغة تجارية..؟

■ بالطبع.. فالكاتب صاحب "الهالة" من السهل توزيع مؤلفاته. وليس الأمر قاصرا على "الهالة" وحدها. فأحيانا لأن الكتاب صادر عن مؤسسة ما. فهم يلزمون أحد كتابهم بالكتابة عنه. ليس لقيمة ما.. ولكن من أجل التوزيع. وتستطيع أن تدخل فى هذا الباب أيضا.. المنفعة. فمن له مساحة فى أى جريدة أو مجلة ويصدر أى هراء، سوف يجد

مساحات أخرى تتشبع له طمعا فى مساحته عندما يحين الحين.

ــ مثال.. من فضلك..

■ الشاعر فاروق جويدة عندما أصدر ديوانا.. فرغم حداثته، ولأنه يملك بابا أدبيا فى الأهرام، فلقد سارع الجميع بالكتابة عن ديوانه، هل لو أصدر شاعر لايملك تلك المساحة الورقية فى جريدة ما، ويفوقه موهبة ونضجا، ديوانا، هل سيجد هذا الاهتمام..؟ اننى أستطيع أن أذكر أسماء دواوين شعرية كثيرة صدرت ولم تحظ بشىء من الاهتمام على الاطلاق. والغريب أن السيد جويدة لم يتوقف لحظة ليسأل نفسه: هل يستحق حقا كل هذا الاهتمام به وبديوانه..؟..

بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ذهبت إلى الأهرام بصحبة الصديق القاص/ صلاح عبد السيد، وأعطيته نسخة، ونبهته لما ذكرته بشأنه.

بعدها.. ولاخبر عن أى عمل لى.

والتقيت خيرى شلبى ذات يوم، وكان قد كتب مقالا فى مجلة "الإذاعة والتليفزيون" عن ديوان لجويدة. لمته قائلا:

إن شعره، يتمتع برومانسية، مستهلكة منذ الثلاثينيات، وليس عنده جديد.. ومسرحياته الشعرية، خطابية وغنائية، وليست درامية.

أطرق خيرى خجلا وهو يتمتم:

ـ أنت شايف كده؟

ولم يمض وقت قصير، حتى كانت قصة لخيرى شلبى، منشورة فى صفحة جويدة فى "الأهرام".

ــ ألم يحاول أحد نسج "هالة" حول أحد الشباب..؟

■ حاول علاء الديب مرة أن ينسج "هالة" حول رواية عبد الحكيم قاسم "أيام الانسان السبعة"، فقال: سوف

تصبح من الأعمال الكلاسيكية الهامة. ولكن لم يشاركه النسج أحد. كما أن المؤلف قد خذله.

ـــ كيف..؟

■ بالطبع لكى يطرد نسج "الهالة" لابد لأن يتمتع الكاتب ببعض المميزات.. كأن يكون مقبولا لدى الجمهور. وأن تتضمن أعماله شيئا من الجدة والأصالة. وأن يكون غزير الإنتاج.. وعبد الحكيم قاسم لايكتب كثيرا وروايته لم تنجح جماهيريا. لأنه فيما أزعم لغوى أكثر منه فنانا. لقد نحت جملته من كلمات دسمة. فصرف بعضا من قرائه عن مواصلة القراءة وجذب بعضا آخر إلى التأمل فى التركيبات اللغوية. وإذا انصرف القارىء إلى تمعن دسامة اللغة فقد فشل الفنان. اننا لانريد لغويين يجيدون المتون. فما أكثر خريجي كلية العلوم والأزهر. اننا فى حاجة إلى كتاب يجيدون فن الأدب.

ـــ ولكن اتقان اللغة مطلوب.

■ نعم.. من أجل توصيل الفن. على الأديب الفنان أن يستخدم لغته بمهارة ودقة لتوصيل مايريد من احساس وشعور. دون أن يلفت نظر قارئه إلى الوعاء الذى حمل مادته.

تصور رجلا يحمل لك شيئا من الفاكهة فى طبق مرصع بالياقوت والذهب والفضة. سينصرف لبك على الفور إلى الانبهار باللآلىء والمعادن النفيسة. أما إذا كانت الفاكهة فى طبق بسيط نظيف. فسوف يجرى ريقك سريعا وتقبل على تناول الفاكهة. ان عبد الحكيم قاسم صانع صحاف. مهتم بتطعيمها بالميناء. أكثر من اهتمامه بإعداد الطعام الذى سيقدم عليها. وفى قصصه القصيرة دأب على هذا النحت اللغوى فأصاب قارئه بالضجر.

ـــ ننتقل من تجويد اللغة إلى تجويد الفن الأدبى.

■ التجويد مطلوب فى الفن. دون مبالغة أو تقعر.

— ماذا تعنى..؟

■ سمعت أن يوسف الشارونى جعل يجود فى قصته الشهيرة "عبد الموجود" عشرات المرات.

— وماذا فى ذلك..؟

■ عندما سمعت ذلك عجبت.. فهل هو كاتب "قاضى". أم ليس عنده قضية تشغله..؟ ان القصة عندما تعيد كتابتها كثيرا، تفقد طزاجتها، وتفقد تلقائيتها. وتنتقل الحسى إلى الفكرى. وفى النهاية تصبح مسخا لامعنى له. تصور نفسك تصنع ثوبا وبعد اتمامه تمزقه وتقص قطعة هنا وقطعة هناك، ثم تخيطه، وبعد الانتهاء تعود وتمزقه، وهكذا عدة مرات. فماذا يصير فى النهاية. يصير أى شىء الا أن يكون ثوبا. وثمة شىء آخر.. أليس فى رأس هذا الكاتب موضوعات أخرى تلح عليه.. حتى يستمر فى هذا التجويد المخل.

— ولكن كثيرين أبدوا إعجابهم بتلك القصة التى ذكرتها.

■ حسنا فليعجبوا بها كيفما شاءوا.. ولكنى أعتقد أن يوسف الشارونى لم يقدم شيئا ذات قيمة.

— كيف..؟

■ منذ سنوات قليلة دعى للاشتراك فى ندوة أدبية بالمنصورة. وأرسلنا له عدة قصص ليقرأها قبل مناقشتها فى الندوة. وكانت بينها قصة لى بعنوان "لم ترفع الجلسة" نشرت فى العدد الأسبوعى لجريدة "الجمهورية". وأعجبت كثيرا من الأصدقاء والأدباء وناقشونى بشأنها. وقرئت القصة فى الندوة. وفاجأ الشارونى الجميع بإعلانه أنه لم يفهم القصة. وطبعا من حقه أن يكون له رأى مخالف لى ولأعضاء الندوة، ولكنه لم يفعل ذلك وأعلن عدم فهمه..

وأثناء النقاش اتضح لى ولغيرى أنه على قدر متواضع من الثقافة الأدبية لاتؤهله للنقد الذى يزعمه. وحتى لاأظلم الرجل فقد قرأت أعماله. وصادف هذا الوقت نشر مجموعة قصصية له باسم "آخر العنقود" أعادت أخبار اليوم طبعها فى ابريل عام ١٩٧٤. وفوجئت بما دعم وجهة نظرى.. قصص المجموعة فى غاية الضحالة. وثار سؤال فى نفسى: لماذا أعاد نشرها. إما أنه فى حاجة إلى المال، ولكن أن يحصل عليه بإعادة نشر عمل هابط فهذا شىء سىء، وإما أنه لايجيد تقييم عمله، فهذا شىء أسوأ.

انه على أية حال ممن تحيط بهم "هالة" من نوع ما، فلم أقرأ رأيا واحدا ينتقد هذه المجموعة، أو يعترض على إعادة نشرها.

— عدنا للهالة مرة أخرى..

■ معذرة.. واذا كان الشىء بالشىء يذكر.. فثمة هالة ضخمة تحيط برواية يحيى حقى "قنديل أم هاشم". أزعم أنها رواية عادية. نهايتها رومانسية رخيصة ورجعية، تدعو لنبذ العلم، والتشفع بالأولياء مادامت الجمهرة تعتقد ذلك..!! ان كل مايمتاز به يحيى حقى فى هذا العمل:عبارة سلسة، أما بعد ذلك فهو فى هذه الرواية كاتب عادى ولكنها "الهالة" ياصديقى.

وأذكر حين قرأ صديقى القاص/ محمد روميش، ملاحظتى هذه، أبدى عجبه، قلت:

منذ أيام أعلن يحيى حقى فى حديث تليفزيونى، أنه عندما كتب "قنديل أم هاشم"، لم يقصد رواية، وأنه مندهش، للاهتمام الذى قوبل به العمل.

لم يقنع روميش، فهو يحب الرجل، ويزوره باستمرار.

— هل أثر على تقييمك للشارونى رفضه قصة لك..؟

تضاحك الأديب فؤاد حجازى بتؤدة وقال:

■ ان ماأعلنته بخصوص الشارونى ليس رأيى وحدى.. بعد الندوة التى أشرت إليها تناقشت مع بعض الأدباء الذين حضروها.. وأذكر منهم القاص قاسم مسعد عليوة والأديب عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل. واتفقنا جميعا على تواضع مستواه، وأنه يحتل منصبا، بسبب الأدب، أكبر من موهبته بكثير. أما الواقعة التى أشرت إليها فأحب أن أصحح لك معلوماتك. فعندما تقدمت بقصة لنشرها فى الزهور – ملحق الهلال وقتها – أجاز نشرها أعضاء لجنة تحرير الزهور، وقرأت إجازتهم على القصة. أما يوسف الشارونى فقد كتب أنه لم يستطع قراءة القصة..؟ كانت القصة صورة بالكربون منسوخة على الآلة الكاتبة. وأعترف أن الكربون لم يكن واضحا فى بعض الكلمات.. ولكن بقليل من الجهد يمكن معرفة الكلمات المطموسة. ولقد فعل ذلك سابقوه. هل هو مرفه إلى هذا الحد..؟ لقد أثار تصرفه عجبى وأمتنع عن تسميته.

— ومن أجل هذا لاأوافق أن تحكم على أعماله.

■ لادخل لهذه الحادثة فى التقييم. اننى عندما أقيم أديبا، أسأل نفسى: هل أضاف جديدا ومبتكرا إلى الأدب والفن أم لا.. هل هذا الأديب يسعى إلى التغيير أم إلى التسلية وجمع المال.. فى حالة الحكيم أو يوسف ادريس، من السهل أن تجد إضافات عديدة لكل منهما.. وعند يوسف ادريس تجد سعيا حثيثا نحو التغيير.. اما عند الشارونى.. فماذا تجد..؟

— وأنت هل أضفت شيئا. أو هل سعيت نحو التغيير..؟

■ سأترك موضوع السعى نحو التغيير يجيب عليه رجال الأمن. فمطاردة كتبى.. وتضييق مجال النشر.. يكفيان للرد.. ولو كانت كتاباتى عادية، أو من النوع الذى يمر مرور الكرام لما اهتم سادة الأمن بها، ولما تجاهلها الكتاب الرسميون..

أما عن الشق الأول من سؤالك. ففى الحقيقة لاأميل للحديث عن أعمالى. ولكن بما أنك سألت.. ولإحساسى أن الناقد كساب سقط منه كتاب "المحرض" وهو عن بعض أعمالى، فسوف أذكر بعض ملاحظات.. فكساب تناول بالنقد بعض أعمالى ولم يستطع أو لم يشأ.. النظر إلى الأعمال نظرة شمولية، ليستخلص منها سمات مميزة سواء لى أو علىّ.

ــ أعلم أنه هاجم بعض الأعمال.

■ بالطبع هذا حقه ولا آخذه عليه. ولقد تعجب أصدقائى لنشرى هذا الكتاب رغم الهجوم الوارد بين صفحاته. ونسوا ايمانى بحرية الرأى. ونسوا مساهمة كساب بالنقود فى طبع كتابه.

ــ نعود لسؤالنا..

■ دعنى اقل لك ماأعتقد. وهو بداية قابل للصواب والخطأ. والرأى الأخير لجمهور القراء..

لقد وجهت اهتمامى للرواية القصيرة.. ولست أدرى.. لماذا أهمل الكتاب هذا النوع، أعتقد أنه مطلوب في عصرنا. فالرواية القصيرة المركزة تقول الكثير فى حيز قليل. فهى تتمتع بتكثيف القصة القصيرة. وشمولية وامتداد النظرة فى الرواية. ولقد اهتم يوسف ادريس زمنا بهذا النوع عندما أصدر روايتيه "العيب" و "الحرام". ثم كف عن ذلك. ولقد كتب غيره كثيرون. ولكني ألاحظ عدم تركيزهم على هذا النوع. فسرعان ماتنفلت أقلامهم وتسهب فى الكتابة. وأذكر أن على شلش قال لى يوما عندما قرأ "المحاصرون" انها قصة قصيرة وليست رواية.. ومع افادتى من فنية القصة القصيرة فى التكثيف. والتركيز على ماهو جوهرى. لم أتبع طريقة السرد الزمنى المتتابع. ففى رواية "شارع الخلا" مثلا كنت فى كل فصل أبدأ من موقع جديد تماما لاصلة له بالفصل السابق. ولكن بالطبع هناك صلة موضوعية تربط العمل كله.

وأزعم أننى غمست قلمى فى مداد شعبى. استمد لونه من البيئة الشعبية وقوامه من أشخاصها، وترياقه من أمانيها.

أعلم مايجول بخاطرك.. طبعا نجيب محفوظ كتب عن البيئات الشعبية. ولكنه ركز على شخصيات من البرجوازية المتوسطة والصغيرة. وشخصياته الشعبية انتقاها لطرافتها أحيانا ولشذوذها فى أحيان أخرى.
أما ماأعنيه بالشعبية فهو شىء مختلف تماما. العمال وأبناؤهم. ظروف عملهم. الفلاحون وأبناؤهم، ومشاكلهم الحياتية الحقيقية التى تتعلق بوجودهم، وأفكارهم وصراعاتهم مع أنفسهم ومع قاهريهم.. كما حاولت استخدام قلم عماده الحرب ضد القهر الرأسمالى والعقائدى والتخلف.

— هل تعتقد أنك قد أتيت بجديد..؟

■ سامحك الله.. وهل ماقلته سابقا ليس بجديد.. على أية حال أعتقد أنى قد فعلت شيئا ما بخصوص أدب الحرب.. أو أدب المقاومة.. وفى الحقيقة لايوجد تراث مصرى أو عربى فى هذا المجال.. فكان مُشكلا صعبا.. فلا يوجد سوى التراث الأجنبى.. وقد قرأت منه الكثير.. ولكنى لم أنحو مثله.. تمثلت بتجربتهم فى الحرب والمقاومة. ثم عايشت حربنا نحن.. ومقاومة شعبنا. ونزعت نحو الانسانية أو ماأسميه بالصدق الانسانى.

— فى حديث لك نشر بمجلة "آخر ساعة" فى منتصف الستينات، تحدثت عن الواقعية الانسانية. فماذا كنت تعنى..؟

■ أعنى أن الواقعية الاشتراكية النقدية لاتقف عند حدود نقد القديم والتبشير بمجتمع اشتراكى جديد فحسب. ولكنها أغنى وأثرى من ذلك. لابد من مشاركة الانسان فى معاناته مهما كان لونه أو جنسه أو عقيدته أو مكانه، ومحاولة التعاطف مع الانسان كإنسان. وهذا التفسير ليس جديدا. ولكنه لو شئت الدقة، هو فهمى الخاص للواقعية. بالضبط أريد التركيز على كل ماهو انسانى. على كل مايثري اللقاء ويقود إلى التواصل الحميم بين الناس. أما عن التقنية. فلا أرى مانعا من الإفادة.. من كل تفريعاتها

الحديثة.. كتيار الوعى والحلم والتقطيع.. وابتكار طرائق جديدة للقص.. سواء بالاستعانة بالتراث.. أو بطرق جديدة.. شريطة أن يكون ذلك خادما للموقف.. أو نابعا منه.. أو يستدعيه.. فلا شك أن في هذا إثراء للواقعية.

ـــ وماذا تعنى بالصدق الانسانى..؟

■ درجنا على قراءة تعبيرين: الصدق الفنى والصدق الموضوعى (وأحيانا الأخلاقى) ولاأرى داعيا لشرحهما. اما الصدق الانسانى فإنه يضيف بعدا جديدا للصدقين الفنى والموضوعى. فأن تكون صادقا فنيا فهذا تقدير يعتز به الكاتب ولكن أن تكون صادقا انسانيا، فهذا إثراء جديد. أو نوع جديد من البلاغة. ودعنى أشرح لك الأمر.. قرأت يوما فى مجلة "صباح الخير" فى باب "شىء ما" كلمة "الخبز" مجرد قراءتى لهذه الكلمة أثار فى داخلى عالما كاملا من التواصل والدفء الانسانى الغريب. وتذكرت أمى وماكانت تفعله عندما تشرع في الخبز هى وجاراتها من النسوة. وكانت قصتى "ست أم عادل" وعندما أعطيتها لمحمد عفيفى مطر لنشرها فى مجلة "سنابل" تردد كثيرا. وطبعا أدركت السبب. فهى مكتوبة بتلقائية أو عفوية فى وقت انبهر فيه الجميع بـ "التشكيل" أى محاولة الكاتب تقديم عمله في شكل من صنعه مستخدما أو مستعرضا مهارته الحرفية. مثل التقديم والتأخير أو عمل فقرات كسيناريو فيلم. إلى آخر تلك الحيل الفنية سواء كان العمل يستدعى ذلك أم لا. وأرى أن المهم فى التشكيل أن يكون نابعا من العمل ذاته. ومثريا له في نفس الوقت. حتى يمكن القول، أنه لولا هذا التشكيل، ماأحسسنا بالقصة على هذا النحو. ولكن للأسف فإن أغلب التشكيل الذى نراه يأتى من الخارج. من ثقافة الكاتب أو من محاولته اظهار براعته فى الحرفة. أو ليبدو كاتبا عصريا. وطبعا تفسد القصة. ويأتى التشكيل على حساب الصدق. ولايكون ناطقا بمضمون القصة.

أما قصة "ست أم عادل" التى أسوقها كنموذج لما أحاول

شرحه. فقد نشرت من وراء ظهر مطر. أرسلت للجمع فى دار الهلال ولكنه لم يعط الأمر بنشرها فى أى عدد، وكل عدد يؤجل نشرها للذى يليه وهكذا. ولكن الرسام محمد رضا قرأها و آخرون يعملون فى "التوضيب"، وأخبرونى فيما بعد أنهم نشروها على عهدتهم لأنها أعجبتهم. أما الذى لم يقولوه أن ثمة بلاغة أخرى، بلاغة نابعة مما أسميه الصدق الانسانى. وهو النجاح فى التواصل مع غيرك من البشر فى لحظة ما عن طريق عمل فنى. هذا الصدق جعلهم لايستأذنون المشرف على التحرير فى نشرها. وهذا الصدق يفرض تشكيلا يَجُبْ كثيرا من المحاولات التشكيلية الزائفة.
وحتى الآن يقرأ تلك القصة أناس كثيرون وهى منشورة ضمن مجموعتى "الزمن المستباح" ويبدون تأثرهم بها. ولقد صدرت هذه القصة، ضمن كتاب مختارات من القصة المصرية. فى برلين بعد ترجمتها إلى الألمانية. ولقد تعجبت لأن الذى اختارها للترجمة، ادوار الخراط، فالقصة تختلف عما يكتبه، ويتشيع له. وعندما لقيته ذات يوم أبديت له دهشتى من اختياره، أجابنى بصوته العميق الخفيض:
- إنها قصة جميلة جدا.. أعجبتنى وتأثرت بها.
وقد أرسلت لى المترجمة الألمانية، الدكتورة/ دوريس إربنيك كيلياس تقول: قرأت قصة "ست أم عادل" فى مجلة "الكرمل" فأعجبت بها لأول وهلة لأنها تمثل بالنسبة لى صورة امرأة نشطة، تحتل مكانا مهما فى الحياة العائلية والاجتماعية على مستوى الحى فى المدينة أو فى القرية.
— أتأذن فى تكملة الحديث عن أدب الحرب..
■ لقد اجتهدت فى هذا المجال. وكتبت عدة أعمال. ولم يسبقنى أحد فيما وصل إلى علمى بإستثناء قصة عن الفدائيين فى غزة. وهى أشبه بقصة شُرَّطِية لكاتب اسمه أحمد فريد على ماأذكر. وكتاب "كنت أسيرا" لعبد الرحمن عنان. ولم تتح لى قراءته إلا مؤخرا وهو كتاب يغفر لمؤلفه شعوره الوطنى، عدم تمكنه من فن الكتابة. لقد نشرت مجموعة "سلامات" عن حرب يونيو ٦٧ فى نوفمبر ٦٩

ونشرت بعض قصصها قبل ذلك، على سبيل المثال، قصة "سلامات" فى "روز اليوسف" فى ١٩/٢/٦٨ وقصة "حارس الحدود" فى جريدة "العمال" فى ١٣/٢/٦٩. وأعتقد أن من كتبوا بعدى عن الحرب قد استفادوا من تجربتى.

ــ ومع ذلك لم تفز بأى جائزة..؟

■ لقد بذلت جهدى فى أدب المقاومة إبان الهزيمة، فى وقت كان بعضهم يكتبون لجلد الذات، وآخرون غرقوا فى أدب اللامعنى والتشيؤ والإغراب وعدم التواصل. وكنت أعجب.. هل يؤدى هذا الأدب إلى التماسك والوعى بما حدث، أم يؤدى إلى مزيد من التمزق وعدم الفهم..؟!. أما أغلب من كتبوا عن الحرب، فقد فعلوا بعد حرب ٧٣. والعجيب أن من دعا للمقاومة أثناء الانكسار لايفوز. ومن طنطن بعد الانتصار يفوز.

ــ ولماذا لم تفز..؟

■ ربما لعقيدتى دخل فى الأمر.

ــ أذكر أن "شرنقة النار" فى مجلة "سنابل" كانت تشجع الأدباء على الكتابة فى أدب الحرب.

■ حقا. لقد لعبت دورا لابأس به. بالطبع أفهم ماتعنيه بسؤالك، وأحب أن أطمئنك.. فمجموعتى "سلامات" سابقة عليها بعدة سنوات. وكذا روايتى "رجال وجبال ورصاص" مكتوبة قبلها ونشرت فى "سنابل" ابان تلك الفترة.

ــ هل ثمة شىء آخر..؟

■ نعم كنت قد كتبت مجموعتين من القصص القصيرة. تدور كل منهما حول موضوع واحد. وهذا جديدفى الأدب العربى حسبما أعتقد. فمجموعة "سلامات" تدور كلها حول الحرب.. جو واحد وان تعدد الأشخاص. وفى "سجناء لكل العصور" تدور حول السجناء السياسيين.. الموضوع واحد مع إضافة جديدة. فالأبطال مستمرون من قصة لأخرى.. أى من الممكن قراءتها على أنها رواية. وهذا موجود

فى الأدب العالمى. وفى "سجناء لكل العصور" إضافة أعتز بها.. كان الشيوعيون فى أعمال الأدباء الآخرين، مجرد رموز. نجيب محفوظ يضع زهرة حمراء فى عروة سترة أحد ابطاله ليوحى أنه شيوعى أو يسارى. أما فى "سجناء لكل العصور" فلأول مرة يعايش القارىء شيوعيين من لحم ودم يتحابون ويتصارعون ويتنابذون، مثل باقى خلق الله.

— هل لديك أقوال أخرى.. فى هذا المجال.

■ عملت مجموعة قصص بإسم "الصعيدى التائه" ضمنتها فيما بعد مجموعتى "النيل ينبع من المقطم" وهى مستوحاة من الأسطورة العالمية ومن الحكايات الشعبية المصرية.. وهذا جديد فيما أعتقد. ولكنى أمسك الحديث عنها الآن. فلنترك لأصدقائنا النقاد شيئا يكتشفونه. ولنترك شيئا للقراء.. بل ولنترك شيئا.. أو أشياء تفصح عنها الأيام وتفصح عنها الأعمال القادمة. إذا قدر لها أن تظهر.

— عرض عليك العمل فى سكرتارية "آخر ساعة" فى الستينات.. لماذا رفضت..؟

■ فى الواقع كان اختيارا صعبا. فالصحافة تلتهم وقت الأديب ولاتتيح له فرصة للتأمل وقراءة الناس. وقليل هم الأدباء الذين نجحوا فى العمل بالصحافة والأدب معا. ولذلك قررت ترك القاهرة والنزوح إلى مدينتى المنصورة. مفضلا معايشة الناس والكتابة فيما أحب.

ولقد عانيت كثيرا فى البداية. خاصة عندما اصطدمت بعقبة النشر. فوجودك فى القاهرة وفى دار صحفية كبرى كأخبار اليوم، يتيح لك النشر ولايتيح لك الابداع. والوجود فى المنصورة يمكنك من الابداع ولاييسر لك النشر والذيوع. وسبق أن تكلمت عن هذا الأمر.

وثمة معاناة أخرى أتعبتنى كثيرا ومازالت. أصبت بالدسنتاريا الأميبية فى الرابعة عشرة من عمري، وكنت ومازلت أستهين كثيرا بما يصيبنى. أو إن شئت الدقة فهو نوع غريب من اللامبالاة بالمتاعب الخاصة.. أحيانا يستمر عدة

شهور. ومرت الأيام وزادت حالتى سوءً. ولم أكن أفهم حقيقة المرض. وكذا أبى، أضف إلى ذلك أن الذهاب إلى طبيب فى وسطنا كان يعتبر نوعا من الترف. وعندما عملت فى سن السابعة عشرة ذهبت إلى طبيب لأول مرة. وأخبرنى عن حقية مرضى. وبدأت العلاج. ولكن وقت حسم المرض كان قد مضى من زمن طويل. وعندما قرأت أن هذا المرض إذا أزمن فإنه يلازم المريض طول عمره، رفضت التصديق. وجعلت أواظب على العلاج عدة سنوات دون كلل ودون فائدة. وظللت فترة طويلة ضيق الخلق وغير مستطيع التركيز سواء فى القراءة أو الكتابة. ولكن عشقى للأدب كان الشىء الوحيد الذى يمكننى من التحليق فى أي سماء والذهاب إلى أى أرض والعيش مع الناس، خاصة عندما يحبسوننى فى حجرة وحدى (حجرة مغلقة) وماأكثر ماحدث لى.. والقراءة هى الشىء الوحيد الذى يمكننى ممارسته عندما يضطرنى مرض أو ظرف خارج عن الإرادة إلى المكوث فى مكان ما.. ولاأحتاج للاستمتاع بها إلى أجهزة من أى نوع.. فقط عيناى.

أقول أنه لعشقى للأدب.. وبمرور الوقت تمكنت من ترويض نفسى على الانتظام فى القراءة دون أن تصاب بالضيق سريعا.. كما تمكنت من تعويد نفسى على الصبر أثناء الكتابة. وبالذات أثناء مراجعة ماأكتبه. وشيئا فشيئا خففت من آثار المرض اللعين.. وساعدنى على ذلك تنظيمى لتناول الطعام كما ونوعا.

ـــ ذكرت منذ قليل أنك تتمتع بـ "هالة مضادة" فماذا تعنى..؟

■ لقد مر على خمس وعشرون سنة وأنا أمارس الكتابة. ولايمكن أن يخرج المرء من المولد دون حمص.

ـــ ولكنى ألاحظ أن الحمص الذى خرجت به.. هو حمص محمى فى النار.

■ بالضبط.. هذا ماعنيته بـ "الهالة المضادة" ودعنى أشرح لك الأمر. أحيانا يحضر أدباء من الخارج وهم لايهتمون

كثيرا بالأدباء الرسميين. وأدباء الاحتفالات. ويسألون عن أدباء آخرين. وعلى الفور يقفز اسمى. وعندما يشرع الأديب الزائر فى البحث عنى. يضل الطريق بسبب "الهالة المضادة".

هل تتصور أن أحدهم وصل إلى مدينتى. وتوجه إلى مسرح المنصورة القومى للسؤال عنى. اعتقادا منه أن مؤسسة فنية فى مدينة صغيرة لابد وأن تعرف مكانى. وهم يعرفون بالفعل. ومع أن موقع عملى يقع على مرمى حجر من المسرح. فقد جبنوا ولم يعرفوه مكانى. وأذكر مرة أن الأديب مستجاب حضر إلى قصر الثقافة بالمنصورة وسأل عنى فتغابوا. فقال لهم: إذا كنتم لاتعرفون عنوانه فهل يستطيع أحدكم أن يدلنى على أقرب منزل للدعارة..؟ ومرة سجلت حديثين فى الإذاعة ولم يكد يمضى على إذاعة أحدهما عدة ساعات حتى قامت القيامة. ومنع بث الحديث الثانى. ومن يومها لم يجرؤ أحد فى الإذاعة أو التليفزيون على عمل أى حديث أو تقديم أى عمل لى. صبرا. فالأمر لايخلو من فائدة.. أنت تعرف أن الممنوع مرغوب ورجال الأمن دائمو الهمة والنشاط لإعطاء هذا المثل فاعليته.. هبل تتصور أن كثيرا من المقبوض عليهم فى قضايا سياسية وجهوا إليهم اتهاما واحدا: أنت متهم بحيازة كتب الأديب فؤاد حجازى.

— إذن فالهالة المضادة تساعدك على التوزيع.

■ ليس فى كل الأحيان. سأقص عليك مايوضح ذلك.. لى صديق فى الاسكندرية اسمه رجب سعد السيد وهو أديب موهوب ومجتهد، وكان يوزع كتبى على أصدقائه ومعارفه، وعرف رجال أمن الدولة فى الاسكندرية بالأمر فاستدعوه، وأحاطوه علما بتاريخى السياسى الذى لم يكن يجهله. ولما كان الشاب لم يسبق له ارتياد مثل هذه الأماكن فقد خاف واضطرب ولم يعد يقوى على تسطير رسالة لى وقتا غير قصير. وهكذا خسرت موزعا جيدا.

ـــ هل تسمح بسؤال شخصى..؟

■ رهن اشارتك.

ـــ بعد كل ماعددته من انجازات تعتقد أنك صنعتها فى مجال الأدب. هل تشعر بالرضا والسعادة..؟

■ أحيانا أشعر بالسعادة. ولكن ان شئت الدقة، ليس بسبب هذه الانجازات إن صحت. ولكن بسبب أننى رغم كل المعوقات من سجن وفقر استطعت أن أؤلف وأطبع وأوزع بل استطعت أن أطبع وأوزع لغيرى أيضا. واعتقد أن مهمة توزيع الكتب يدا بيد لو عرضت على سيزيف لينعتق من صخرته لرفض..!

أتضحك..؟ حسنا.. سأعطيك عشر نسخ فقط من أى كتاب تختاره. وحاول أن توزعها على أصدقائك.

ـــ هذا شىء سهل.

■ سهل لأنك لم تجربه. أتعرف ماذا سيحدث لك..؟

أحدهم سيأخذ الكتاب دون أن ينطق بحرف معتبرا اياه هدية. وآخر سيعتبر ثمنه مرتفعا، وبعد أن تلقى على مسامعه شرحا وافيا عن ثمن الورق وتكلفة الطباعة وبعد أن تقنعه أنك تبيع بثمن التكلفة، سيأخذ الكتاب مؤجلا سداد ثمنه لميسرة. ومن خبرتى فإن دين الكتب لايرد. وثالث سيقلب الكتاب بين يديه بامتعاض. ويلقى عليك محاضرة فى ضرورة الاهتمام بالشكل وطريقة عمل الغلاف وكيفية الإخراج الفنى. ويأتى دورك. فتلقى عليه محاضرة مضادة عن قصور امكاناتك وعن الفنانين الذين حاولت الاستعانة بهم دون جدوى. وإذا اقتنع وأعطاك ثمن نسخة فسيشعرك أنه تفضل بها عليك تشجيعا لك وحبا فى الأدب.

أما باعة الجرائد فأمرهم عجب. تعطى لأصدقائك منهم بعض النسخ لتوزيعها. وعبثا تحاول أخذ ثمن النسخ المباعة بعد خصم عمولتهم. هم دائما مفلسون. ولاتجد حلا لكى تخلص بحقك سوى المقايضة بجرائد أو مجلات لست فى حاجة إليها فى أغلب الأحوال.

ـــ أرجوك.. كفى.

■ أطبع من كل كتاب ألف نسخة أو ألفين.. لكل نسخة قصة.

ـــ معنى هذا أنك لم تشعر بأى سعادة..؟

■ السعادة ياصديقي تأتى عندما تنتهى من هذه المتاعب وتحين منك لفتة إلى الخلف وتوقن أنك رغم المتاعب ورغم كل المثبطات قد فعلت شيئا.

ـــ انك تحصل على لحظات مقابل تعب عام بأكمله.

■ لكل شيء قيمته ياصديقى. فهى لحظات نادرة. ترسب فى الأعماق ويلمع ضوؤها حين يتعرض الإنسان لأى احباط.

ـــ ألا تسعدك أشياء أخرى..؟

■ في الحقيقة تسعدنى أشياء أبسط مما تتصور. مجرد أن أضع يدى تحت ماء ينساب من صنبور وأعب منه عبا كما كنت أفعل وأنا صبى صغير. يشعرنى بسعادة بالغة. مجرد أن أسير حافى القدمين فى حديقة ما. أو أستلقى أرضا تحت شجرة وأجوس بناظرى فى الأفق الرحيب. أحس بسعادة بالغة وصفاء عجيبين. وصدقنى كثيرا ماتمنيت أن تدوم هذه اللحظات إلى الأبد.

ـــ ألا يوجد شيء مارسته فى الكبر أشعرك بالسعادة..؟

■ الجلوس عند شاطيء البحر. أى سكينة تغمر الانسان وهو يتطلع نحو الأفق اللانهائى. يلتحم بمياه البحر.

ـــ ولكن.. ألا تشعر بالأسى..؟

■ أشعر بأسى وحزن عميقين لايمكننى وقف زحفهما، أحيانا. وليس لأسباب شخصية كما قد يتبادر إلى ذهنك.

ـــ هل تستطيع أن توضح..؟

■ عندما أمر بالقرى والنجوع وأرى مساكن الفلاحين مشيدة بالطوب اللبن. ولونها كلون الأرض السوداء لم تتغير من عهد الفراعنة، حتى اليوم. وألمس مستوى المعيشة المنحط. فكأن سكينا ثالما ينغرز ببطء فى أحشائي. وعندما أسير فى الأحياء الفقيرة. وأرى البيوت المتداعية.

المتساندة، بينها ممرات ضيقة. وسكان كل بيت يسمعون مايهمس به جيرانهم. ويسمعون مضاجعات النساء. وصراخ الأطفال. وعويل الثكالى. وهذه الأحياء موطن دائم للداعرات وتجار المخدرات والمصدورين.
وعندما ترى الأطفال يلعبون فى الحوارى القذرة، والذباب يحط على وجوههم، فهل تجرؤ وتطلق عليهم كلمة "المستقبل". وأى أسى يغشاك وأنت تعلم استحالة تغيير هذا الوضع فى وقت قريب.
ـــ انك رومانسى فيما يبدو..؟

■ عن أى رومانسية تتحدث. وأنا أعلم أن الانسان المصرى يهان يوميا منذ أن يستيقظ من نومه حتى يعود إليه مرة أخرى. أعلم أن هذا الكلام معاد ومستهلك ولكن.. ماحيلتى..؟ عندما يستيقظ المصرى من نومه لايجد ماء. وعندما يخرج من بيته لايجد مواصلة تحفظ له آدميته. وعندما يذهب إلى عمله لايجد عملا يشعره بوجوده. وإذا وجد لايجد تقديرا من رؤسائه. وإذا وجد حاصرته العفونة والرشوة من كل جانب. وإذا أحب المصرى لم يجد مسكنا يمارس فيه حبه. وإذا وجد أعجزه الثمن. وهكذا.. حلقة رهيبة تأخذ بخناقه. ويورثها أولاده من بعده. ان لحظات السعادة التى حدثتك عنها مختلفة. وأى سعادة حقيقية وفى الأعماق يربض حزن مستمد من واقع عديم الجمال. وملىء بالقبح المكانى والأخلاقى.
ـــ أود أن أسأل..

■ صبرا.. فالمأساة فى غياب الهدف. الأجيال الجديدة لاطموحات لها. ولاأهداف تسعى من أجل تحقيقها. سل أى شخص يقابلك فى أى موقع عن هدفه فى الحياة. لن يستطيع الإجابة. وفى أحسن الأحوال سيهز كتفيه فى لامبالاة. سله عن طموحه. ماذا يود تحقيقه من أجل نفسه ومن أجل بلده. سينظر إليك كأنك معتوه. لقد قام عصر عبد الناصر بواجبه كاملا فى خنق حرية التعبير. ولماذا يعبر أى شخص عن نفسه أو عن أمانيه والزعيم العظيم يعبر عنا

جميعا. ويفكر لنا جميعا. ويحمل العبء عنا جميعا. وياويل من يفكر لنفسه أو لبلده. ثمة تعذيب. أو ثمة اعتقال. ومازالت حرية التعبير مفتقدة والأمنيات المباحة متعذرة التحقيق.

ونحن صبية كان الحصول على عمل بعشرة جنيهات يحقق حياة معقولة. تستطيع أن تؤجر شقة بجنيهين. وتساعد أهلك بجنيهين. وتعيش بستة جنيهات. أما الآن فإذا تعلمت تعليما عاليا ستحصل على ثلاثين جنيها شهريا. وايجار الشقة العادية خمسة وثلاثون جنيها فى الشهر. وخلو الرجل أو المقدم ألفان من الجنيهات. فهذا المطلب الأساسى غير قابل للتحقيق فى عصر الانفتاح. فكيف يفكر طبيب مثلا فى تحقيق سبق فى ميدان الطب. وهل يستطيع مهندس أن يطمح إلى تحقيق شىء فى ميدان العمارة. أو القوى المحركة. وهل يمكن لأديب أن يبدع فى عالم الخلق الأدبى..؟

ان الطفل يولد اليوم بطموح مجهض. فكيف يكون له طموح اليوم. وأنا أراجع هذه الطبعة فى آخر عام ٩٦. ومرتب الجامعى خمسة وسبعون جنيها. أى لم يزد طوال خمسة عشر عاما عن أربعين جنيها.. وإيجار الشقة المعقولة لايقل عن مئة وخمسين جنيها. وخلو رجل ثلاثون ألف جنيه. بعد أن كان فى حدود من ثلاثة إلى خمسة جنيهات، ودون خلو رجل.وكيلو اللحم. قفز من أقل من جنيه إلى ثمانية عشر جنيها. ولو سألت المصريين ككل. ماهو هدفكم. لما استطاعوا الاجابة. واذا بسطت لهم المسألة. هل تريدون بناء دولة رأسمالية أو اشتراكية أو دولة متحالفة مع العدو الأمريكى. لما وجدت أحدا يرد عليك.

— كيف اتجهت إلى الأدب..؟

■ سبق أن تحدثت عن خصال عندى منذ الصغر أهلتنى فيما أعتقد لأن أصبح كاتبا. ولكننى لم أدع ذلك بطبيعة الحال إلا عندما نضجت. فقد لحظت أننى كنت قوى الملاحظة، أحاول قراءة الوجوه. كى أستشف عمق الشخصية.. أحاول دائما معرفة ماوراء الفعل. وماتحت السطح.

فى أواسط الستينات تهرأت التنظيمات الماركسية، واستطاع عبد الناصر أن يغرى بعضا من قياداتها بالعمل معه. فى التنظيم الطليعى والاتحاد الاشتراكى. كانت مأساة عظيمة على المستويين الشخصى والعام. مات والدى وأنا فى السجن وفصلت من عملى. ووجدت نفسى بلا تنظيم. وألزم بيتى من غروب الشمس حتى شروقها بأمر الشرطة. لم أتوقف كثيرا لأجتر مرارة الحنظل. غرقت فى القراءة وأمسكت بالقلم. وولد فى داخلى اصرار عجيب على النجاح فى عالم الأدب. واصلت العمل بدأب وألزمت نفسى بعمل كتاب على الأقل كل عام. غير ملق بالا لمشكلة النشر. المهم عدم اضاعة الوقت.

ـــ أنت متهم بكثرة الكتابة..؟

■ ليس هذا صحيحا. فأنا لا أنتج أكثر من كتاب لاتزيد صفحاته عن المئة طوال العام. الصحيح أن الذين يتهموننى لايفعلون شيئا أكثر من الثرثرة على المقاهى. ولأأكتمك فلم أعد مواظبا على العمل فى الأعوام الأخيرة.

ـــ لماذا..؟

■ فى الحقيقة أردت أن أتوقف عن الكتابة زمنا يسمح لى بالنظر من بعيد إلى أعمالى وصداها عند الآخرين. والنظر من بعد يساعد على التأمل. وعلى شمول الرؤية. والتوقف - شريطة ألا يطول وإلا صدأ قلم الكاتب - يفيد المخ المنشغل بالكتابة دوما. لأنه يعتاد طريقة معينة فى التفكير والكتابة تجعله نمطيا. والتوقف يتيح الفرصة للتفكير الحر. ويسمح بإعادة النظر فيما استخدم من أدوات فنية.

ـــ ولكن.. مارأيك فى هؤلاء الذين يكتبون كل يوم فى الجرائد..؟

■ لاأعتقد أنهم يضيفون شيئا جديدا. وأغلبهم لايقول شيئا. وهذا من ميراث عصر عبد الناصر. فقد أصبحت مصر تنفرد بخاصية الكاتب الذى يكتب ولايقول شيئا.

ـــ وما السبب فى ذلك..؟

■ لو أراد أحدهم القول فسوف يتعين عليه أن يأخذ

موقفا محددا من القضايا السياسية والاجتماعية المختلفة. ولماذا يعرض نفسه لغضب الحكام. أو للإتهام بالتشكيك فى وطنيته وولائه. ولذلك فبدلا من أن يأخذ موقفا يأخذ مالا. أى يحافظ على راتبه.

ـــ وهل ينطبق ذلك على الأدب أيضا..؟

■ بالطبع.. ولكنهم علاوة على ذلك يفضلون تعب الآخرين بدلا من أنفسهم.

ـــ هل يمكن توضيح هذه المسألة..؟

■ الدولة مهتمة بحرب أكتوبر دعائيا، وللأسف لم يظهر للحدث صدى. فى الأدب حتى الآن. أعتقد أنها حرب رائعة بصرف النظر عن اختلاف الرأى حول ماانتهت إليه. أقول بدلا من أن يتعب كتاب النظام أنفسهم لكتابة أعمال مستوحاة من هذه الحرب. يوجهون الدعوة للآخرين. ذات يوم قرأت لأحمد بهجت دعوة بهذا المعنى. وعجبت.. إن رجلا مثله يحصل على عدة مئات من الجنيهات شهريا نظير رئاسته لمجلس ادراة مجلة الإذاعة والتليفزيون. وقل مثلها من جريدة الأهرام لأنه يعمل بها. ويحصل على مقدار من المال من جريدة "الشباب" حيث كان ضمن العاملين بها. كما يحصل على مبلغ لابأس به من الإذاعة لكتابة برنامج يومى. ويستطيع سيادته بسهولة أن يحصل على إجازة وربما حصل على بدل سفر مناسب لقاء توجهه إلى مدن القناة وسيناء. ليعايش مسرح أحداث حرب أكتوبر. ويستطيع بسهولة أن يحصل على تسهيلات ليسأل من يشاء من جنود وقادة حرب أكتوبر. ويستطيع أن ينشر مايكتبه مسلسلا فى أى جريدة أو مجلة ويتقاضى فى الحالين أجرا لابأس منه. لماذا لم يذهب هو ليعرف ويكتب بدلا من توجيه الدعوة..؟!

والآن.. فلننظر فى أحوال الأدباء الشبان الذين وجهت إليهم الدعوة. ان أى أديب منهم لايتجاوز راتبه خمسين جنيها فى المتوسط. تكفيه بالكاد. ولايستطيع أن يتغيب عن عمله فى

أى مصلحة حكومية أو شركة بسهولة. وليست لديه تسهيلات من أى نوع سواء لارتياد أمكنة معينة. أو مقابلة الجنود والضباط. وإذا استطاع تخطى كل هذه العقبات وكتب شيئان فسوف ينطح رأسه فى عقبة النشر حتى يسيل دمه.

وأذكر أنى كتبت وقتها خطابا بهذا المعنى وأرسلته ليوسف ادريس. أحثه على أن يفعلوا مايطلبونه من الآخرين. ولكنه تجاهل الخطاب.

ــ للأستاذ نجيب محفوظ رأى مفاده أنه ينبغى أن تمر على الحدث فترة كافية حتى يمكن استيعابه والكتابة عنه. فهل أنت من هذا الرأى..؟

■ أختلف معه. ولكل طبيعته. أحب الكتابة عن الأفعال وهى طازجة. مأأن يغمس المرء قلمه فى وقائعها حتى تحاصره دقائق وتفصيلات كل فعل. وطبعا لاأحبذ التسرع (أثناء الكتابة) حتى يتسنى للعقل الباطن أن يصفى مايود تصفيته وحتى يجيب على عشرات الأسئلة التى تثار. باالاختصار حتى ينضج الموضوع وهو ساخن.

أما الانتظار فترة كبيرة. فهذا يجعلنى أنسى الحدث وتضيع منى حيويته وطزاجته. وتتوه تفاصيله. وإذا ماكتب الانسان عنه فيما بعد. فإنه يكتب شيئا مختلفا عما كان يود أن يفعله من قبل.

ــ هل تعتقد أن بين الأدباء الشبان من يحاول التشبث بـ "هالة" سواء كانت من صنعه أو من صنع غيره..؟

■ أعتقد أنه يوجد من هو مولع بهذه "الهالة" ولها بالطبع تأثير سىء على تقديرهم لأعمالهم فلا يقيمونها التقييم الصحيح. ومن ثم يعجزون عن التقدم. كما أنهم يستخدمون هذه "الهالة" فى التأثير على آراء زملائهم. ولأضرب لك مثلا.. فى العام الماضى كنت أقضى بعض الوقت فى مصيف جمصة. ووجدت الشاعر سمير عبد الباقى مصادفة على شاطىء البحر، فناديته. وكانت روايته "هكذا تكلمت الأحجار" قد صدرت من مدة وجيزة.

فسألنى عن رأيى فيها فقلت: سيئة للغاية وأنصحك بعدم كتابة رواية مرة أخرى.
قال: لقد أعجب بها نجيب محفوظ وقال صنع الله ابراهيم عنها كلاما طيبا.
انتبه.. هاهو ينسج "هالة" حول عمله. وبالتالى حول نفسه. ومستخدما رجلا ذا "هالة" مثل نجيب محفوظ. وآخر حوله "هالة" حديثة مثل صنع الله ابراهيم.
قلت: آراء الآخرين على عينى ورأسى أعيها جيدا ثم أحكم عقلى أنا.
رد: ولكن مارأيك فيما قالاه..؟
قلت: اسمع.. نجيب محفوظ ضحك عليك. لأنه لم يقرأها. فهو طوال الصيف مريض بالرمد فى عينيه. وفى الشتاء ينتج أعماله ولايقرأ إلا قليلا.. مما يعتبره هاما جدا. لقد جاملك. كما جامل الذين من قبلك. انه يحفظ بعض أسماء من الأدباء الشبان يذكرهم فى أى حديث صحفى حتى يرضيهم. أما إذا سألته عن رأيه تفصيلا فى أعمالهم فلن يجيب. أو إذا سألته هل يفضل عملا على آخر. لن يجيب. لأنه ببساطة لايعرف شيئا عن ماهية هذه الأعمال. وأحيانا يحاول بعضهم محاصرته ويقرأون عليه أعمالهم فى مقهى ريش أو فى مقهاه بالاسكندرية. فأشاع عن نفسه أن سمعه ضعيف. لكى يتخلص منهم. أما أنا فأعتقد أن سمعه جيد جدا.
سأل: وكيف تجزم..؟
قلت: تعلم أنى حضرت فى بور سعيد "حوادث مؤسفة" فى قصر ثقافتها. كنت مدعوا لمشاهدة عرض مسرحى لأبى العلا السلامونى. وقبل العرض. صعد إلى خشبة المسرح يسارى أحمق من بورسعيد. فلليسار حمقاه أيضا. وقرأ بيانا ضد الحكومة.. هكذا.. دون استشارة أحد.. ودون مراعاة لسلامة الضيوف.. وتصادف أن حرم الرئيس السادات. كانت فى زيارة للمدينة. فى نفس الوقت.. وفى

الحال أحاطت قوات الأمن بالقصر .. وخرج الحضور فردا فردا، تحف بنا فوهات المدافع الرشاشة.. ولما كنت غريبا عن المدينة، ويساريا أيضا.. فهى فرصة ليتضمن بيان الداخلية "أن عناصر غريبة، أحدثت الشغب".. أما أهل المدينة فهم كرام طيبون. وتصادف أن كنت فى القاهرة بعد الإفراج عنى. وسألنى بعض الأدباء على مقهى ريش عن تفاصيل "الحوادث المؤسفة" وكان نجيب محفوظ موجودا. فوجدته يصغى باهتمام ويستفسر عن بعض الوقائع. أليس هذا دليلا على أن الرجل ينشط سمعه عندما يريد. ويضعفه عندما يريد.

قال: وصنع الله ابراهيم..

قلت: صنع الله.. لى رأى فى نتاجه هو..

قال: لقد قيل عنه..

قلت: أعلم كل ماقيل. لقد قرأت روايته الأخيرة "نجمة أغسطس" وعجبت لكل ماقيل عنها. قال سعد الله ونوس فيها اجابة تقنية هامة على كثير من القضايا المطروحة على الرواية العربية. وقال عصام محفوظ: ايذان بمرحلة جديدة فى الرواية العربية. وكلام كثير لاأعتقد أن الزمن سيبقى شيئا منه ومنها.

قال: أنت تظلم صنع الله.

قلت: صنع الله صديقى أكثر منك. وأنا أحبه كصديق. ولكن لادخل لهذا فى رأيى عن عمله. ان بطل "نجمة أغسطس" يتأمل المرحاض بعد أن ينهض عنه. ألا ترى أن هذه نرجسية مرضية. ومقززة. وبطله "الثورى" عاجز طوال الرواية عن الفعل. والرواية مليئة بصفحات كثيرة لا لزوم لها ومملة فى وصف الحجارة والزلط والرمل. ولقد استطاع صنع الله أن يلخص روايته البالغ تعداد صفحاتها مائتين وخمسة وثمانين فى ثلاثة عشرة صفحة فقط فى منتصف الرواية. وهى

صفحات رائعة جدا ولكن.. لما كان الفن لايلخص. فأعتقد أن هذه الصفحات تغنى عن الرواية كلها..

سأل: حسنا لندع رأيك فى رواية صنع الله جانبا. لماذا لم تعجبك روايتى..؟

رددت: أنت شاعر. ولغتك فى الرواية أقرب إلى الشعر منها إلى النثر. وللقص لغة أخرى ينبغى أن تجيدها قبل أن تشرع فى الكتابة. شخصيات الرواية باهتة الملامح وبناؤها هش. قد يناسب الشعر. أما الرواية فلا. موضوعك هلامى غامض. لاتحاول أن تقول أنك تتكلم عن السجن وقهر الانسان فى كل العصور. قد يكون هذا فى مخيلتك فقط. أو قد يصلح بهذا الغموض فى قصيدة شعر. أما الراية فينبغى أن تقدم عالما كامل البناء. وطيد الأركان. ينبثنا عن طريق أبطاله. والأجواء التى يعيشون فيها بفكرتك.

ــ دعك من حديثك مع الشاعر سمير عبد الباقى. أتسمح لى بسؤال عابر..؟

■ طوع أمرك.

ــ هل تؤمن بالحظ..؟

■ ليس تماما. وان شئت الدقة أؤمن أنى محظوظ من خلال الظروف السيئة..

ــ ماذا تعنى..؟

■ فى أول قضية لى. حكمت المحكمة بسجنى ثلاث سنوات. وأفرجت عن كثير من زملائى فى القضية. ذهبت إلى السجن وذهب المفرج عنهم إلى معتقل أبى زعبل. حيث كان التعذيب والضرب على قدم وساق هناك. ألا ترى أن محظوظ ... رغم ماكنت فيه من سوء..

ــ صدفة.

■ لقد تكرر معى ذلك كثيرا.. مرة وأنا طالب فى الثانوية العامة فصلوا زميلا لنا فقررنا عدم الانتظام فى

الدراسة وأغلقنا باب الفصل ووضعنا الأدراج خلفه. وثارت ادارة المدرسة وقررت فصلنا جميعا لحين حضور أولياء أمورنا. وقامت الإدارة بترغيب وترهيب كثيرا من التلاميذ للبوح بأسماء الذين تزعموا التمرد. ولو نطق أحدهم لوجدت نفسى فى الشارع. وحدث أن تضامنت معنا الفصول الأخرى. فتراجعت ادارة المدرسة. وعدنا بدون أولياء أمورنا.
ونجوت من الرفت ومن علقه مؤكدة من أبى.

ـ هل أنت محظوظ على طريقتك فيما يتعلق بعملك ككاتب..؟

■ على أية حال فحتى الآن لم أصب بالجنون أو الدروشة. وأعتقد أننى لم أنتحر. وإلا ماكنت أتكلم معك الآن.

ـ لاتبالغ من فضلك..؟

■ حسنا.. ماذا نسمى موت الشاعر نجيب سرور الذى يقرب من الانتحار..؟ لقد شاهده الجميع وهو ينحدر سريعا نحو الموت ولم يتحرك أحد. وعندما ذهب دبج رجاء النقاش مقالا رائعا عنه.
والصديق العزيز محمد حافظ رجب لو استمر عطاؤه لاحتل مكانا عظيما هو جدير به. ولأسهم كثيرا فى اثراء الواقعية المصرية. ولكنها الحرب الخفية. جعلته يهرب من القاهرة وقد مرضت نفسه. هو يعمل الآن بمتحف الاسكندرية. ولقد ذهبت إليه أكثر من مرة وحاولت دفعه إلى الكتابة ثانية. فكان يشير إلى السماء ويقول: سبحانه واحد أحد. وعندما حان وقت صلاة الظهر تركنى لأداء الفريضة ثم عاد. وفى محاولة لإثارة اهتمامه بالأدب سألته: لقد قطعت شوطا كبيرا فى كتاباتك الواقعية. فلماذا فاجأتنا بمجموعتك "الكرة ورأس الرجل".

ضحك وقال: كانت تجربة. أردت أن أجرب. ففوجئت بمن يتبعنى. وبمن يطلق المسميات: مابعد الواقعية. الفانتازيا. إلى آخر ماقالوه.
ولمح تساؤلا فى عينى فقال: ماذنبى أنا وقد هلل آخرون..؟
قلت: نحن فى انتظار قصة جديدة لك.
نظر إلى السماء وقال: كله عبث. هو الباقى..
وأيقنت عمق مرارته. ولماذا يهرب بنفسه إلى الدروشة. فهو أحق من كثير من الأسماء التى تتربع على عرش الأدب بالقاهرة. ولم أشأ تعذيبه بأسئلتى. فتركته. وان كنت أعود لزيارته كلما سنحت لى فرصة. فمازلت أذكر له احتضانه للأدباء الشبان فى صفحات جريدة "السفير" بالاسكندرية. ودعوته لإنشاء اتحاد أدباء خاص بهم.

— نعلم أنه كانت هناك محاولة لإنشاء اتحاد كتاب ابان إنعقاد مؤتمر الأدباء الشبان بالزقازيق عام ٦٩. فلماذا وئدت هذه المحاولة..؟

■ تكونت لجنة تحضيرية بالفعل. وكنت عضوا بها. وحدث بعد أول اجتماع أن اعتقل الشاعر ابراهيم رضوان لأنه ألقى قصيدة فى مسرح المنصورة لم تعجب بعضهم. وبالطبع أثرت الموضوع فى اجتماع اللجنة التالى. وطالب كثير من الأعضاء بضرورة الإفراج عنه. فأصيبت اجتماعات اللجنة بالسكتة الأبدية.

— ماهى أمنياتك الأدبية ونحن على مشارف عام ١٩٨١..؟

■ تلح على موضوعات كثيرة. لاتسمح لى الظروف بتحقيقها أدبيا وفنيا..
عمل أخى عادل فى سوهاج فترة. وحدثنى عن زراعة البصل هناك وتصنيعه وتصديره. وأثار فضولى الأدبى. فمتى تسنح الفرصة لمعايشة الفلاحين هناك على الطبيعة لألمس أثر

البصل. فهو محصولهم الرئيسى كالقطن هنا. فى حياتهم وتكوين شخصياتهم وتبلور قيمهم.
وقرأت يوما بعض تحقيقات صحفية عن تجارة البيض. وعلمت أن تجاره قلائل يجمعونه من الصعيد ويتحكمون فى تسويقه بالقاهرة. أى عالم رائع وثرى.. عندما نتبع رحلة البيض من قراه البعيدة إلى أحياء القاهرة. وفى الطريق يثرى أشخاص بينما يتعب آخرون. ماتأثير هذه السلعة على تشكيل شخصيات المنتجين الفقراء والتجار المليونيرات.
ويستهوينى كثيرا أولئك العمال الذين يصنعون الألمونيوم فى صحرائنا الشرقية بعيدا عن العمران. أى انسان جديد يولد وهو يخضع الجبل لإرادته..
وقرأت يوما الإلياذة والأوديسة، وسحرتنى بعوالمها الخيالية، ومازال يخالجنى أمل فى معالجة بعض قصصها بمفاهيم عصرية.
وأمنيات كثيرة....
أرجو أن أوفق إلى تحقيق بعضها يوما ما..

قطار الأسرى بقلم : فؤاد حجازي

الرواية جيدة، وهي ربما تكون أول رواية عربية تعالج هذا الموضوع
مذكرات جندي مصري في الأسر خلال حرب حزيران ٦٧.

الأسلوب سهل وسلس والرواية جذابة والأحداث حية وفيها صدق فني
وليس فيها افتعال في الأحداث أو انفعال في النبرة.

الرواية جيدة موضوعاً وأسلوباً ومعالجة وهذا كل ما يطلب من
ما أعتقد من [illegible] أي روائي يقوم بتقديم عمله الجيد [illegible]

٢/٢٥

● تقرير الأستاذ / عبد القادر يسن من اتحاد كتاب فلسطين عن روايـة " قطار الأسرى " التى أسميتها بعد ذلك " الأسرى يقيمون المتاريس ".

أخي الأستاذ فؤاد حجازي

تحية طيبة وبعد فقد تلقيت هديتك الكريمة
وتهنئتك الرقيقة، وإني أشكرك لكرم أخلاقك
ونبل قلبك، كما أحمد لك سيرك الثابت في طريق
الفن.

وإني لأرجو أن تتاح لي فرصة وسط مشاغل
العمل الرسمي والأدبي لاطلاع على كتاباتك والاستمتاع بها

ودمت للمخلص

نجيب محفوظ

الأستاذ فؤاد حجازي
بمجلس مدينة طلخا - دقهلية

١٢/ ١٢/ ١٩٧٠

MAIL
AVION

• صور من الايصالات المسجلة التى أرسلتها لبعض الكتـــاب ولرئيـــس اتحاد كتاب مصر فى حينه بخصوص قضية " سجناء لكل العصـــــور " ولم يهتم أحد .

المراسل: فؤاد حجازي

عنوان المراسل: مجلس مدينة المنصورة ، شارع الرامي

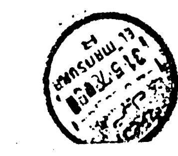
المرسل إليه: ١- فتحي سلامة بجريدة الأهرام بالقاهرة

٢- جلال الجويلي " " "

الجهة: القاهرة - شارع الجلاء - مؤسسة الأهرام

١١٠

٢١/٥/١٩٧٨



الراسل: فؤاد حجازي

عنوان الراسل: صيدلية المنصورة - [illegible]

المرسل إليه: عبد العال الحمامصي

عنوان المرسل إليه: ١١١٩ كورنيش النيل - [illegible]

المحافظة: القاهرة

R
٢٧٢

EL MANSURA 28.6.73

● جريدة " الأهرام " فى ١٩٧٨/٥/٣١

ضبط منشورات وكتب تدعو للماركسية فى المنصورة

المنصورة - مكتب الاهرام - ضبط رجال مباحث امن الدولة بالمنصورة كمية من المنشورات المناهضة لنظام الحكم. وكذلك ٣٠ لفافة كبيرة تضم كتبا بعنوان "سجناء لكل العصور" و"الصرة"، فى سيارة اجرة اثناء تسلم احدى المكاتب .. وقد تبين صاحب المكتبة. ولذلك سائق السيارة ان المسئول عنها الشخص فؤاد ابراهيم حجازى وهو مؤلف الكتابين، وانه قد طلب توصيلها الى دار الثقافة الحديثة بالقاهرة دون ان يعلما شيئا عن محتوياتهما.

وثبت من التحقيق الذى اشرف عليه المستشار السيد مروان المحامى العام لنيابة المنصورة، ومحمد ابو زيد رئيس النيابة ان الكتابين غير مرخصين بنشرهما وان مؤلفهما ماركسى سبق اعتقاله سياسيا .. وانه ضمنهما افكارا معادية لنظام الحكم وتدعو للماركسية .. وقد امر صلاح الدين هلال وكيل اول النيابة بحبسه ثم اخلى قاضى المعارضات سبيله بكفالة ٣٠ جنيها.

مسجل رقم

اسم المرسل منه: فؤاد حجازى — توقيع المرسل منه

عنوان المرسل منه: مبنى مديرية المنصورة — العدد / ثروت أباظة

اسم المرسل إليه: الأهرام - ش الجلاء

عنوان المرسل إليه: القاهرة

الجهة

الرسوم المحصلة ... مليم ... جنيه

توقيع وكيل المكتب — ختم المكتب

صدر للمؤلف

....

قصص قصيرة

- سلامات. أدب الجماهير. نوفمبر ١٩٦٩
- كراكيب. ٢ طبعات. أدب الجماهير. سبتمبر ١٩٧٠ وسبتمبر ١٩٨٢ وفبراير ١٩٨٧
- سجناء لكل العصور. طبعتان. أدب الجماهير. يونيو ١٩٧٧ وأكتوبر ١٩٨٧
- الزمن المستباح. ٣ طبعات. أدب الجماهير. مارس ١٩٧٨ وأغسطس ١٩٨٢ ومارس ١٩٨٦
- النيل ينبع من المقطم. مواهب. فبراير ١٩٨٥
- كحكة للصبى. دار النديم. يونيو ١٩٩٠

الرواية

- شارع الخلا. ٢ طبعات. أدب الجماهير. أكتوبر ١٩٦٨ وأكتوبر ١٩٧٩ وأكتوبر ١٩٩٥
- نافذة على بحر طناح. طبعتان. أدب الجماهير. فبراير ١٩٧٦. الثقافة الجديدة. ١٩٧٩
- المحاصرون. أدب الجماهير. أغسطس ١٩٧٢
- رجال وجبال ورصاص. أدب الجماهير. يونيو ١٩٧٢
- الأسرى يقيمون المتاريس. ٥ طبعات. أدب الجماهير. فبراير ١٩٧٦ ومايو ١٩٧٩ ويونيو ١٩٨٥ وسبتمبر ١٩٨٧ وديسمبر ١٩٩٥
- العمرة. طبعتان. أدب الجماهير. أكتوبر ١٩٧٧ وديسمبر ١٩٩٦
- القرفصاء. طبعتان. أدب الجماهير. مارس ١٩٧٨ وفبراير ١٩٩٢
- متهمون تحت الطلب. ٣ طبعات. أدب الجماهير. مايو ١٩٨١ ويناير ١٩٨٥. وزارة الثقافة بسوريا ١٩٨٢
- عنقودة وسمرة. إقليم شرق الدلتا الثقافي. ديسمبر ١٩٩٦

المسرح

- الناس اللى مامعاهاش. مسرحيتان من فصل واحد. طبعتان. أدب الجماهير. ابريل ١٩٧٢ ومايو ١٩٨٤
- حاملات البلاليص. مسرحية فى ٣ فصول. أدب الجماهير يونيو ١٩٨٦
- عفوا رئيس الديوان. ٥ مسرحيات من فصل واحد. أدب الجماهير. مارس ١٩٨٧

- أوراق أدبية. أدب الجماهير. ديسمبر ١٩٨٠
- أوراق نقدية. اقليم شرق الدلتا الثقافى. ديسمبر ١٩٩٨

أدب الطلائع

- حلوان شامة. قصص طويلة. ٢ طبعات. أدب الجماهير. فبراير ١٩٨٢ وأكتوبر ١٩٩١. ورؤيا بالاسكندرية مع دار آزال ببيروت تحت اسم (حكاية الأمير سيف والأميرة شامة). فبراير ١٩٩٠
- أمن الذئاب. قصة طويلة. رؤيا. نوفمبر ١٩٨٨
- تحطيم سلام. قصص. طبعتان. أدب الجماهير. يونيو ١٩٨٩. واقليم شرق الدلتا الثقافى. مارس ١٩٩٥
- الأسد ينظر فى المرآة. قصص. الحقيقة. فبراير ١٩٩٠
- شجرة الدر تتلقى الأمانة. رواية. طبعتان. أدب الجماهير. مايو ١٩٩٠ وهيئة الكتاب ١٩٩٥
- بنات رشيد. مسرحية. هيئة الكتاب. نوفمبر ١٩٩٠
- تمرد رئيسة البنائين. قصص. طبعتان. أدب الجماهير. أغسطس ١٩٩١. ويافا للدراسات والأبحاث. ١٩٩٢
- براءة مارية القبطية. قصة طويلة. أدب الجماهير. سبتمبر ١٩٩٢
- مجلس الملكات. قصص. قطر الندى. أغسطس ١٩٩٦
- **طيور البجع تضحك قصص** اقليم شرق الدلتا الثقافى. مايو ١٩٩٨

ملحوظة: الرسائل وبعض المقالات المشار إليها فى ثنايا الحديث، وإيصالات تسجيل البريد نشرت صور لها، فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب - "أدب الجماهير" - ١٩٨٠، وفى كتاب خمسون عاما من الفن والنضال - "رؤيا" - ١٩٨٨

رقم الإيداع : ١٧٥٢٧/ ٩٨
الترقيم الدولى : I.S.B.N
977-5636-82-5